

## الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدبي عربي حديث

فرع: أدب عربي

الميدان : لغة وأدب عربي

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

د/ عبد القادر العربي

? نادية دبي

تاريخ المناقشة: 2015/05/25

أمام لجنة المناقشة:

رئيسا

جامعة المسيلة

أستاذ محاضر (ب)

- أ. دقي جلول

مشرفا

جامعة المسيلة

أستاذ محاضر (ب)

- العربي عبد القادر

ممتحنا

جامعة المسيلة

أستاذ مساعد (أ)

- أ. غجاتي أسماء

السنة الجامعية: 2015/2014

## \*\* كلمة شكر وعرفان \*\*

"وعلست ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً". سورة النساء الآية 113  
أحمد ربي محمد التاكرين، وأحمد ربي علي توفيقك لي، ومدى بالقوة والعزم للإهاء عزرا  
العسل المتواضع  
وأقترح بين آيات التفكير وكلمات الحب والحب والعرفان لوالدي الكريمين، فهما  
أصحاب الفضل الكبير لما وصلت إليهم من درجات العلم  
واقترأوا بقوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" صدق رسول الله  
أقترح بشكري الجزيل لإلا كل من قدم بإيد العوا من قريب أو من بعيد في إنجاز عزرا العسل  
المتواضع وإتمامه ولو بنصيحة، وأخص بالذكر الاستاذ المتفرد (العربي عبد القادر) لما  
قدمه لي من توجيهات ونصائح قيمة فله خالص التقدير والاحترام  
وللايقظني أنا أقترح بغائقة التقدير وجميل العرفان لكل أساندة قسم اللغة والأدب العربي

يعتبر الشعر من أرقى أنواع الفنون الأدبية، لما يحمله من قيم جمالية وإنسانية، زادته رفعة وسموا، وكذلك لما توفر عليه من خصائص فنية مثل الرمز بمصادره المتنوعة، والذي عد من أهم العناصر الفنية المساهمة في بناء القصيدة العربية في الشعر العربي الحديث خاصة.

وقد حظي الرمز عموماً والرمز الطبيعي خصوصاً باهتمام الشعراء، وكان حاضراً في مدوناتهم الشعرية، ومن هؤلاء الشعراء نجد "إبراهيم طوقان"، الذي اتكأ على الطبيعة وعناصرها حيها وجامدها، متخذاً من دلالاتها المتنوعة رموزاً للتعبير عن أفكاره وقضاياها، وبالتالي فإن الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، سيكون محورياً لدراستي، ومنه يمكن طرح التساؤلات التالية:

**ما مدى نجاح تجربة إبراهيم طوقان في توظيف الرمز الطبيعي في شعره؟ وهل وفق في التعبير عن أغراضه عبر رموز الطبيعة؟**

أما عن دواعي اختيار دراسة موضوع الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، يعود أولاً إلى انجذابي وميولي نحو شعر الطبيعة عموماً، وثانياً لتوضيح فكرة الفرق بين مصطلح الرمز والرمزية، وتوظيفهما في الشعر العربي، كما لفت انتباهي قلة الاهتمام بالرمز الطبيعي كموضوع للدراسة دون غيره من أنواع الرموز.

أما من ناحية الصعوبات، فكما هو معلوم أنه لا يخلو أي بحث منها، والصعوبة التي واجهتني في إنجاز هذا البحث المتواضع تكمن في قلة المراجع حول الرمز الطبيعي، وكذا تعدد الدراسات حول الرمز والرمزية مما استدعى مني التدقيق وانتقاء الأفضل منها. وجاءت هذه الدراسة مقسمة إلى مقدمة، يليها تمهيد، ثم فصل أول وفصل ثان، وذيلتها بخاتمة ثم ملحق، وتضمنت خطة الدراسة ما يلي:

البداية بمقدمة، ثم تمهيد حوى مفهوم الرمز في اللغة والاصطلاح، وكذا مفهوم الرمزية في اللغة والاصطلاح، وحوى أيضا التعريف بموضوعات الرمزية وخصائصها الفنية وكذا اتجاهاتها، ثم عرض لأنواع الرمز.

ثم جاء **الفصل الأول** نظري بعنوان رئيسي هو الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، وينطوي تحته عناوين فرعية هي:

- مدخل عن الرمز والرمزية في الشعر العربي القديم.
- نشأة وتطور الرمز في الشعر العربي الحديث.
- سمات الرمز في الشعر العربي الحديث.
- اتجاهات الرمز في الشعر العربي الحديث.
- أنواع الرمز ومصادره في الشعر العربي الحديث.

أما **الفصل الثاني** فجاء تطبيقي بعنوان رئيسي هو تجلي الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان ودلالاته، في محاولة لاستخراج أنواع الرموز الطبيعية الموظفة في نماذج من شعره، والكشف عن دلالتها، وغرض الشاعر منها، وكذا التعرف على أنواع الرموز الطبيعية الموظفة في شعره ومدى مناسبتها لتجربته الشعرية تميز رموز إبراهيم طوقان الطبيعية ودلالاتها ورموز غيره من الشعراء، وكذا السعي للتعرف على سمات رمزيته وتحديد اتجاهه الرمزي.

ثم أنهيت هذه الدراسة **بخاتمة**، عرضت فيها حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من هذا البحث، ونذلت هذه الدراسة **بملحق** أدرجت فيه ترجمة لحياة الشاعر إبراهيم طوقان.

أما المنهج الذي سرت على خطاه لإنجاز هذا البحث، فقد تنوع بحسب مقتضيات كل مرحلة، ففي الفصل الأول اعتمدت المنهج التاريخي المناسب لتتبع تاريخ الرمز في

الشعر العربي ونشأة وتطور الرمزية في الشعر العربي الحديث، أما الفصل الثاني التطبيقي فقد اعتمدت فيه المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة الموضوع المدروس. ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها، وأفادتني معلوماتها في دراستي للموضوع، كتابا "الرمز والرمزية في الشعر المعاصر"، و"الحدائث الشعرية (الأصول والتجليات)" لمحمد فتوح أحمد، بالإضافة إلى اطلاعي على مراجع أخرى تهتم بموضوع الدراسة. ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة، سوى تقديم الشكر الجزيل وكل عبارات الامتنان للأستاذ المشرف "العربي عبد القادر"، الذي أشرف على هذه المذكرة وأثراها بنصائحه وإرشاداته القيمة والتي بعون الله وفضله خرجت على هذه الشاكلة. وتبقى هذه الدراسة الأدبية في مجال الشعر نسبية النتائج وأرجو أن يكون هناك طالب علم آخر يكمل ما بدى مني نقص في موضوع هذا البحث ومن الله التوفيق.



# الفصل التمهيدي



## تمهيد

ولكي يتسنى لنا فهم كل ما يحيط بموضوع الرمز، كان لابد من إجلاء كل لبس وغموض حول مفهوم الرمز ووظيفته كأداة تعبير، وكذا مفاهيم ما يحيط به من مصطلحات، والتطرق بإسهاب إلى ذلك بالاستناد إلى الجذر اللغوي والتعاريف الاصطلاحية المتعددة المشارب.

### 1- مفهوم الرمز:

#### 1-أ- الرمز في اللغة:

- الرَّمْزُ: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إيانة بصوت، إنما هو إشارة بالشفنتين، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفنتين والقم، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء - أشرت إليه بيد أو بعين، ورمز يرمز ويرمز رمزا. وفي التنزيل العزيز في قصة زكريا عليه السلام: { أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا }<sup>1</sup>.

- الرَّمْزُ: ويضم ويحرك: الإشارة، أو الإيماء بالشفنتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان، يرمز ويرمز.<sup>2</sup>

- الرَّمْزُ: الإيماء والإشارة والعلامة، و(في علم البيان): الكناية الخفية.<sup>3</sup>

- ورمز إليه يرمز ويرمز رمزا أشار أو هو الإيماء بالشفنتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان، وفي فقه الثعالبي هو مختص بالشفة.<sup>4</sup>

- رمز - رمز إليه، فكلمه رمزا: بشفتيه وحاجبيه.

<sup>1</sup> - جمال الدين أبي الفضل ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار الكتب العلمية، تح: عامر أحمد، ط1، بيروت- لبنان، 2002، ص417.

<sup>2</sup> - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص284.

<sup>3</sup> - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004، ص372.

<sup>4</sup> - بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص250.

## تمهيد

قال الطرّماح:

إذا ما رآه الكاشحون ترمّزوا \*\*\* وحذاراً وأوموا كلهم بالأنامل<sup>1</sup>

- الرّمزُ Symbole علامة تعتبر ممثلةً لشيء آخر، ودالة عليه.<sup>2</sup>

### 1-ب- الرمز في الاصطلاح:

-المفهوم الغربي للرمز قديماً وحديثاً:

إن مصطلح الرّمز من المصطلحات التي عرفتھا العلوم النظرية قديماً فقد كان الرمز في الفلسفة الرواقية يتضمن المنطق والبلاغة ونظرية المعرفة، "فأفلاطون يرى أن المسميات ترمز إلى الأشياء، والحقيقة وراء المحسوسات، فما نراه في هذا العالم ليس سوى انعكاس لعالم الصور الخاصة، كما يوضحه في تشبيه الرمزي لأشباح على الحائط..."

من هذا المنطق فإن الرّمز كلمة موهلة في القدم، ظهرت في الفكر اليوناني وهي مشتقة من (SUMMBOLEUM) وتعني الحزر، والتقدير وهي مؤلفة من (SUMM) بمعنى مع، و(BOLEUN) بمعنى حزر، وهي تعني قطعة من خزف أو إناء ضيافة - دلالة على الاهتمام بالضيف-، وقد اشتقت من الفعل اليوناني "ألقي في الوقت نفسه"، أي الجمع في حركة واحدة بين الإشارة والشيء المشار إليه.

أما دائرة المعارف البريطانية فقد اعتبرت الرمز هو المصطلح الذي يمنح للشيء المحسوس، ويمثل للعقل مشبه الشيء غير المرئي، والذي يحس بالتعامل معه.

وتدور اتجاهات الرمز حول فلسفتين كبيرتين هما: المحاكاة عند أرسطو والمثالية

عند أفلاطون، وقد تفرعت من هذين المنطلقين عدة تعريفات هي:<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، د ط، بيروت، 1979، ص ص 251-252.

<sup>2</sup> - محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 2009، ص 155.

<sup>3</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، 2008، ص 24.

## تمهيد

- مفهوم الرمز على المستوى العام:

فأصحاب هذا المستوى ينظرون إلى الرمز باعتباره قيمة إشارية "يمكن أن تلحظ خلال الحياة كلها" كما يقول "أدوين بيفان"، ثم يقوم بتقسيم الرموز إلى نوعين:  
\* الرمز الاصطلاحي: ويعني به نوعا من الإشارات المتواضع عليها كالألفاظ باعتبارها رموزا لدلالاتها.

\* الرمز الإنشائي: ويقصد به نوع من الرموز لم يسبق التواضع عليه.<sup>1</sup>

ويرى "أرنست كاسرير": "أن الرمز ليس جانبا من جوانب الواقع بل هو الواقع، ففي الرمز يوجد توحيد كامل بين الذات والموضوع، بين الاسم والشيء".<sup>2</sup>  
وتلك التعريفات السابقة تحدد الرمز في مستواه العام بمعنى الإشارة أو تعبير عن شيء بشيء آخر.

- الرمز ومفهومه على المستوى اللغوي :

يعتبر "أرسطو" من أقدم الفلاسفة الذين تناولوا الرمز فيحدده قائلا: "الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة".<sup>3</sup>  
كما أن هذه النظرة -الرمز إشارة- موجودة حتى عند العالم الألماني "ستيفن اولمان" (Stephen Ullman) الذي يقسم الرموز إلى تقليدية "كالكلمات منطوقة ومكتوبة وطبيعية وهي التي تتمتع بنوع من الصلة الذاتية بالشيء الذي ترمز إليه كالصليب رمز للمسيحية".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أحمد قيطون: الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، مركز البصيرة، ع 4، دار الخلدونية، الجزائر، نوفمبر 2009، ص 108.

<sup>2</sup> - مجاهد عبد المنعم مجاهد، جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 1997، ص. 101.

<sup>3</sup> - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، د ط، بيروت، لبنان، 1973، ص ص 37-38.

<sup>4</sup> - أحمد قيطون: الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، ص109.

## تمهيد

- مفهوم الرمز على المستوى النفسي:

الذي يتزعمه "سجموند فرويد": "فالرمز عنده نتاج الخيال اللاشعوري وأنه أولي يشبه صور التراث والأساطير".

ويعرفه "كارل يونغ" على نحو جيد مفرقا إياه عن الإشارة (Sig) التي تعبر عن شيء معلوم، محدد في وضوح بخلاف الرمز الذي هو "أفضل طريقة للإفشاء بما لا يمكن التعبير عنه، وهو معين لا ينضب للإحياء، بل التناقض كذلك".<sup>1</sup>

- مفهوم الرمز على المستوى الأدبي:

"يعتبر جوته Goethe" أول من حدد بطريقة أدبية وحديثة مفهوم الرمز (LE SYMBOLE) سنة 1897 ويرى "أنه حينما يمتزج الذاتي بالموضوعي يشرق الرمز الذي يمثل علاقة الانسان بالشيء وعلاقة الفنان بالطبيعة، ويحقق الانسجام العميق بين قوانين الوجدان وقوانين الطبيعة".<sup>2</sup>

أما ناقد الرمزية الكبير "وليم يرك تتدال W.Y.Tindel" يعرف الرمز قائلا: "تركيبا لفظيا أساسه الإيحاء عن طريق المشابهة بما لا يمكن تحديده، بحيث تتخذ عناصره اللفظية كل حدود التقرير، موحدة بين أمشاج الشعور والفكر".<sup>3</sup>

ويقول "إليوت" الرمز يقع في المسافة بين المؤلف والقارئ، لكن صلته بأحدهما ليست بالضرورة من نوع صلته بالأخر، إذ أن الرمز بالنسبة للشاعر محاولة للتعبير ولكنه بالنسبة للمتلقى مصدر إحياء.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008، ص337.

<sup>2</sup>- أحمد قيطون: الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، ص 111.

<sup>3</sup>- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 338.

<sup>4</sup>- أحمد قيطون، الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، ص111

## تمهيد

- مفهوم الرمز عند العرب توزع بين آراء لنقاد وشعراء في القديم والحديث:

يعد "ابن رشيق" من الأوائل الذين أشاروا إلى الرمز في المصطلحات البلاغية والنقدية حيث جعله من أنواع الإشارة، إذ يقول: "وأصل الرمز: الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الإشارة، وقال الفراء: الرمز بالشفيتين خاصة".<sup>1</sup>

كما أشار "الجاحظ" بدوره إلى مضمون الرمز إلا أنه قد أطلق عليه اسم "الدلالة" فقال: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم حال التي تسمى نصبه.

ويقترّب من الرمز الإشاري ثلاثة منها: الإشارة باليد، وبالرأس، والحاجب، وعن الإشارة يقول: "فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا".

والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط.<sup>2</sup>

وفي رأي آخر عن مفهوم الرمز، - يعتبر البلاغيون الرمز عنصرا هاما من عناصر الكناية، لأنه يحمل شحنة الإيماء والتلميح التي انبنت عليها، - بل إن الأمثلة التي قدمها البلغاء قديما وحتى منتصف القرن العشرين للرمز هي نفسها أمثلة الكناية لأنهما معا يخفيان ويشيران وهما صنفان للكناية لغة واصطلاحا.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، ج1، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000، ص 504

<sup>2</sup>- عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، دت، ص ص 76-78-77.

<sup>3</sup>- إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، ط1، الرباط، 2014، ص. 280.

## تمهيد

ومن النقاد القدامى الذين أشاروا للرمز من باب الغموض نجد: "القرطاجني" إذ يقر أن بعض أنواع الغموض لا بد أن يتوفر في الشعر مثل: اللغز والكناية والإشارات إلى الأحداث الماضية والقصص.<sup>1</sup>

كما يعد "عبد القاهر الجرجاني" أول واضع "لمذهب الرمزية" في النقد الأدبي عن العرب، إذ يقول: "من المركوزة في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه ومعناه الحنين نحوه، كان نيله أحلى وألطف، وكانت به أضن وأشغف، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ".<sup>2</sup>

ومن الآراء العربية الحديثة حول مفهوم الرمز نجد: "الرمز الشعري والأدبي عموماً عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس".<sup>3</sup>

وفي تعريف آخر: "الرمز هو تعهد استخدام كلمة أو عبارة لتدل على شيء آخر، لا بالتشابه، لأن الرمز على نقيض الاستعارة والتشبيه يفنقر إلى المشبه به، بل الإيحاء والإشارة".<sup>4</sup>

وفي مفهوم آخر للرمز: "الرمز الأدبي هو ليس إشارة إلى مواضعة أو اصطلاح إنما أساسه علاقة اندماجية بين مستوى الأشياء الحسية الرامزة، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وعلاقة التشابه هنا تتحصر في الأثر النفسي لا في المحاكاة، من ثم فهو يوحي ولا يصرح، يغمض ولا يوضح".<sup>5</sup>

وفي رأي آخر: "إن الرمز تفاعل بين شيء ظاهر حسي، وشيء خفي نفسي لا شعوري".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد، الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2006، ص 361.

<sup>2</sup> - محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1995، ص 173.

<sup>3</sup> - علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، ط4، القاهرة، 2002، ص 105.

<sup>4</sup> - سلمى خضراء الجبوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2007، ص 781.

<sup>5</sup> - إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008، ص 338.

<sup>6</sup> - عماد علي الخطيب: الصورة الفنية أسطوريا، جبهة، د ط، عمان، 2006، ص 40.

## تمهيد

2- مفهوم الرمزية:

2-أ- الرمزية في اللغة:

-الرمزية: الطريقة، الرمزية: مذهب في الأدب والفن، ظهر في الشعر أولاً، يقول بالتعبير عن المعاني بالرموز والإيحاء، ليدع للمتذوق نصيباً في تكميل الصورة أو تقوية العاطفة، بما يضيف إليه من توليد خياله.<sup>1</sup>

2-ب- الرمزية في الاصطلاح:

-المدرسة الرمزية (Symbolisme): لقد ظهرت الرمزية كمذهب أدبي فني له مصطلحاته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن أصولها موعلة في القدم.<sup>2</sup>  
استقر المذهب الرمزي في الآداب الأوروبية منذ عام 1880 وهو أهم مذهب في الشعر الغنائي بعد الرومانتيكية.<sup>3</sup>

نشأ المذهب الرمزي وترعرع في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولم تعرف الرمزية مدرسة أدبية إلا في تمام عام 1886 على وجه التحديد، بصرف النظر عن الاستعمالات الرمزية في الأعمال الأدبية السابقة لهذه السنة، وهدفها تقديم نوع من التجربة الأدبية تستخدم فيها الكلمات لاستحضار حالات وجدانية، شعورية أو لا شعورية.<sup>4</sup>

3- أنواع الرمز:

قد تعددت الرموز وتنوعت مصادر تشكلها، وهذا ما جاء في عملية تصنيف الرموز التي حددها الباحثان "رينيه ويلك واورستن وارين" في كتابهما "نظرية الأدب"، المنطوي على ثلاثة أنواع: الرموز التراثية والرمزية الخاصة والرمزية الطبيعية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، د ط، لقاها، 2004، ص 372.

<sup>2</sup> - محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 155.

<sup>3</sup> - محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، مكتبة نوميديا، د ط، الجزائر، 2007، ص 159.

<sup>4</sup> - نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 466.

<sup>5</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، الجزائر، 2008، ص 43.

## تمهيد

### 3-1- الرمز التراثي:

إذا كان الشاعر يستمد عناصر رموزه الشعرية أساسا من الواقع، فإنه في أحيان كثيرة يستمد عناصر هذه الرموز من التراث -بمصادره المتعددة-، باعتبار هذا التراث منجم طاقات إيحائية لا ينفذ له عطاء، ومن ثم فإن الشاعر حين يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعرية عبر جسور من معطيات هذا التراث، فإنه يتوسل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفوذ، هذا بالإضافة إلى أن استخدام الرموز التراثية يضفي على العمل الشعري عراقة وأصالة، ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر.<sup>1</sup>

كما توزعت الرمزية التراثية حول أشكال عدة وهي:

**1-أ- الرمز التاريخي:** ونقصد به التوظيف الرمزي لبعض الأحداث التاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع تاريخية أو الأماكن التي ارتبطت بوقائع تاريخية معينة ... وغيرها.<sup>2</sup>

**1-ب- الرمز الديني:** الرمز الديني-تحديدا- يمنح النص أبعادا نفسانية روحانية (ميتافيزيقية) جوهراية موهلة في مكونات الذات، مما ينتج عنه خلعة لنمطية الإيحاءات الخطابية.<sup>3</sup>

**1-ج- الرمز الصوفي:** التصوف، شدد ل. ماسينيون" في مقالته المنشورة في موسوعة الإسلام وفي بحثه حول "أصول المصطلحات التقنية في التصوف الإسلامي" على حصر أصل التصوف في الإسلام.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - على عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، ط4، القاهرة، 2002، ص 121.  
<sup>2</sup> - نسيم بوسلاح،: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية، ط1، الجزائر، 2003، ص 141.  
<sup>3</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص 45.  
<sup>4</sup> - جمال الدين بن شيخ: معجم الآداب العالمية (معجم آداب اللغة العربية و الآداب الفرانكو فوني المغربي)، تر: جمال مصباح، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر. 2011، ص137

## تمهيد

ويعرف العلامة "عبد الرحمن بن خلدون" التصوف بقوله: "هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور".<sup>1</sup>

وفي تدرج الصوفي بين المقامات والأحوال التي أعلاها جميعا المشاهدة واليقين، ما يلاقيه الشاعر على اعتبار أن كليهما مولع باقتناص الملطفات، لذلك استعار الشاعر عن التجربة الصوفية نفاذها إلى جوهر الكون الذي مفاده البحث في مظاهر الجمال الإلهي المطلق، التي تعكسها صور الجمال الحسي المخلوق في ظواهرها المتعددة، وهي إحدى السمات التي من شأنها أن تحدد العلاقة الأنطولوجية بين الذات الإلهية، وصفات العالم، لذلك نجد البحث الجمالي لدى الصوفية ينتقل من النظر العقلي إلى المشاعر القلبية، ومن تجاوز العالم المدرك اليقيني.<sup>2</sup>

**1-د-الرمز الأسطوري:** الذي أبدعته الثقافة الأسطورية نعني به أن الرمز نابع من الحدس الذي يلوذ باللحظة الحاضرة ويستفز في التجربة المباشرة، مقتنصا من خلالها انطبعا كليا مشوبا بالانفعال.

والرمز الأسطوري قائم على التكثيف والادماج، صهر الأفكار المتماثلة ومزج المعاني المتشابهة، حيث تتدمج الحدود والفوارق والرمز الاسطوري يطمح دائما الى تأكيد ما هو قدسي.<sup>3</sup>

### 3-2-الرمز الخاص:

يأتي الرمز الخاص ليشكل مجالا رحبا لحركة الشاعر، يجد فيه حرية أكثر وفرصة أكبر لاختيار رمزه الذاتي، الذي يتمثل فيه تجربته بشكل أشد خصوصية وأصالة

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة بن خلدون، تح: حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة، 2004، ص 577.  
<sup>2</sup> - نسيم بوصول: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية الوطنية، ط1، الجزائر، 2003، ص125.  
<sup>3</sup> - عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفي، المكتب المصري، د ط، القاهرة، 1998، ص ص 27-31.

## تمهيد

ويأخذ الرمز الخاص دلالاته من السياق والتجربة الشعرية، لأنه رمز جديد غير اصطلاحي، ينبغي له بعض القرائن التي تدل عليه.<sup>1</sup>

### 3-3- الرمز الطبيعي:

قسم الايطالي "امبرتو ايكو" (U-ECO) العلامات إلى ثمانية عشر نوعا، منها العلامات الطبيعية، ويقصد بها ما في الطبيعة من شجر، وماء، وجبال، ... وغيرها.<sup>2</sup> يقوم الرمز الطبيعي مَعْبَرًا آخر للشعراء، لتوحيد الذات بالعالم والتعبير عن دلالات تجربتهم، باستبطانهم لطاقت هذا الرمز وشحنه بحمولات شعورية وفكرية جديدة. ويلاحظ على الرمز الطبيعي امتزاجه بالرمز الخاص، مثل: البحر، الريح، الرمل، الحجر، المطر.<sup>3</sup>

وقد تعددت الرموز وتنوعت مصادر تشكلها، فهناك المصادر المستمدة من الطبيعة التي يعتمد فيها الشاعر على خاصيتي "التجسيد والتشخيص".<sup>4</sup> وتبقى عملية توظيف الرموز على اختلاف أنواعها كما يرى أحد الباحثين مضللة للمتلقي حاجبة عنه الرؤية الموضوعية للموضوع، كما أنها تحد من فاعليته لأنها تدعوه إلى التواكل والاعتماد على "المخلص"، وعلى خلاف هذا يرى غيره أن النص يتمكن بواسطة الرمز من جعل القارئ يعيد اكتشاف الأشياء لا كما تمنع نفسها للنظرة العادية المتصلة بالشواغل الحياتية بل كما هي في الحقيقة، فيراها كما إنه يراها لأول مرة أنه يستعيد نظرة الطفل، هكذا يدخل الرمز النص صادما معجبا يعيد القارئ إلى الدهشة الأولى، أمام الأشياء حتى لكأنه يكتشفها لأول مرة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008، ص ص 347-348.

<sup>2</sup> - نسيم بوسلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ص 101.

<sup>3</sup> - إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 349.

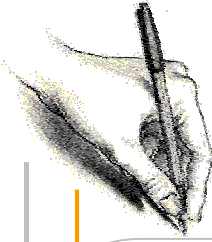
<sup>4</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، 2008، ص 39.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 46

# الفصل الأول



## الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث



- 1-مدخل عن الرمز والرمزية في الشعر العربي القديم
- 2-نشأة وتطور الرمزية في الشعر العربي الحديث
- 3-سمات الرمزية في الشعر العربي الحديث
- 4-الاتجاهات الرمزية في الشعر العربي الحديث
- 5-أنواع الرمز ومصادره في الشعر العربي الحديث

## 1-مدخل عن الرمز والرمزية في الشعر العربي القديم:

عرفت العرب بالفصاحة والبيان وتجلي ذلك في قصائدها الشعرية، ذلك أن الشاعر العربي تفنن في قول الشعر معتمدا على ثراء لغته العربية ومرونتها، ومقدرتها على التكيف مع كل المواقف الحياتية، مغرلة لكل دخيل، وتمسكة بكل أصيل.

لم يكن الشاعر العربي في الجاهلية مهيباً للخوض في التجربة الرمزية، على الرغم من انه كان على صلة بالأسطورة، ولذلك لأن مستواه الإبداعي لم يبلغ، آن ذاك شأواً يمكنه من ولوج عالم الرمز الماورائي، بكل أبعاده، النفسية والماورائية يضاف إلى ذلك انعدام معطياته الثقافية اللازمة لمثل هذه المهمة.<sup>1</sup>

فلم يعرف الشعر العربي القديم الرمزية بمفهومها الفلسفي الذي ذاع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وإنما هي رمزية المجاز بألوانه البيانية المعروفة كالتشبيه والاستعارة والكناية التي لم يمسه الغموض إلا قليلا وفي مواطن محدودة وذلك لأن الأديب العربي القديم كان كما يقول "أنطون كرم": "أميل إلى الوضوح والواقع منه إلى الغموض والتجريد".<sup>2</sup>

وخلاصة القول أن الشعر الجاهلي واقعي بمعانيه وألفاظه لأن قائله ظل لصيقا ببيئته وحصر تفكيره في الأمور المحسوسة فلم يطرق أبواب الغيب ولم يعرف الرمز إلا في لحظات قليلة، كما في وصف النابغة خوفه من النعمان، أو كما في وصف امرؤ القيس لليل.

وإذا انتقلنا من الجاهلية إلى العصور اللاحقة، كان حظ الصور الرمزية أوفر مما كان عليه من قبل، وبخاصة بعدما اختلط العرب بالأعاجم، واحتكوا بحضارات جديدة واطلعوا على تعاليم الدين الجديدة ولعل ما ورد في القرآن الكريم من صور ورموز لا عهد لهم بها، غير أن كل ذلك لم يساعد في إنتاج شعر رمزي خالص.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - انطونيوس بطرس: الأدب (تعريفه، أنواعه، مذاهبه)، المؤسسة الحداثية للكتاب، لبنان، د ط، 2005، ص. 248.

<sup>2</sup> - إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ط م، الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008، ص. 341.

<sup>3</sup> - انطونيوس بطرس: الأدب (تعريفه، أنواعه، مذاهبه)، ص. 251.

ومع ذلك فقد حاول بعض الباحثين دراسة الرمزية في أدبنا العربي القديم، وانتهوا في هذا الصدد أي نماذج محددة، نجد طرف منها فيما يدعونه "بالرمزية الأسلوبية" ويقصدون بها مجازية التعبير، و"الرمزية الموضوعية" ويعنون بها قصص الأمثال والألغاز، وتلك محاولة مشروعة طالما فهمنا الرمز هنا بمعناه العام، أي اعتباره إشارة "Sign" أو تعبيراً غير مباشر.

وبهذا يصبح مفهوم الرمز أقرب إلى المعنى اللغوي لهذه الكلمة، ولكنه يند عن مفهومها الفني المعاصر، على أن الأدب العربي قد عرف منذ أمد طويل نمطا آخر من أنماط الرموز العامة هو الرمز الصوفي، وفيه تتجلى قيم روحية فنية تصله بالرمز المعاصر من جهة، وتبعده عنه من جهات، فالصوفي -كالرمزي- يعاني حالات وجدانية على درجة من التجريد والغموض، ويعتق من سيطرة الحس ليتحد بالجمال الإلهي الخالد، على أن شعراء الصوفية كانوا كثيرا ما يكفون المتلقي عناء البحث عن مضامين رموزهم -حتى مع وجود الاصطلاح والقرينة- فكانوا يقدمون لشعرهم أو يعقبون عليه بما يجلو غموضه ويكشف عن مراميه، وواضح بعد هذا العرض الموجز لمعنى الرمز الصوفي أنه -بخصائصه- لا ينطبق تمام على مفهوم الرمز بمعناه المعاصر، ذلك أن ما يفترض فيه من مواضعه أو قرينة يبعده عن تلك الإيحائية التلقائية التي يتسم بها الرمز الفني.<sup>1</sup>

ومن النماذج المدروسة عن رمزية الشعر العربي القديم نجد نموذج يعود بنا إلى الشعر الجاهلي، لتبين ملامح الرمزية فيه، فنجد دراسة أقيمت حول الصورة في شعر امرؤ القيس وخصت في مطولته الشهيرة (قفا نبك). إذ يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل \*\*\* بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وتبدأ الدراسة من كلمة "قفا" ويتبين أن للوقوف مدلولاً طقسياً، وأن الشاعر في هذه القصيدة لم يقف وحده، بل جعل الوقوف فعلاً اجتماعياً يشاركه فيه آخرون، ولعل من

<sup>1</sup> - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د ط، مصر، 1977، ص 164.

أسباب اختياره للتثنية كون ألف المثنى توحى بالارتفاع، وتتسجم مع صورة القامة المنتصبة بالإضافة إلى كونها تحقق العدد ثلاثة بإعلان وجود رفيقين صحبة الشاعر. والثلاثة عدد نموذجي أصلي في الحضارة الإنسانية، كالإيمان "بالتالوث المسيحي"، والمرتبطة رمزيا بنجاة "بونان" بعد ثلاثة أيام من ابتلاع الحوت في اليهودية والاعتقاد بأن الله بنات ثلاثا في الوثنية العربية، ومن هنا نبدأ بتلمس البعد الرمزي والطقسي والأسطوري للقصيدة، هي عمل فني ينبثق من تراث جماعي، فالشعر فن رمزي وليس محاكاة للفعل الواقعي، ومن الكلمة الأولى "قفا" في معلقة امرؤ القيس نشعر أننا أمام سياق رمزي<sup>1</sup>.

ومن النماذج المدروسة عن رمزية الشعر العربي القديم أيضا نجد دراسة تحليلية نفسية لشعر "ذي الرمة"، فقد اعتمد كثيرا على الرمز، ويمكن تفسير شعره على هذا الأساس وكل صورته الشعرية التي ترتبط بالصحراء هي من ذلك النوع الرمزي، لا غرو فقد كان الشعراء من قبله يصفونها من الخارج -إن صح هذا التعبير-، أما ذو الرمة فيصفها من الداخل، داخل نفسه وروحه، ولعل مثلا واحد من هذا الشاعر لا يكفي بخاصة أنه نمط فريد بين الشعراء القدامى<sup>2</sup>.

ومن النماذج الشعرية القديمة والتي وضعت في خانة الشعر الرمزي حسب الدارسين له، نجد رمزية "البحثري" إذ يقول في شطر شعري من أحد قصائده:

والشعر لمح تكفي إشارته

وإشارة للمح هي الرمز إذ يقال رمز إلى الشيء إذا أشار إليه، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه، غير أننا نرى أن البحثري قد وفق في استعمال لفظة للمح عوض الرمز لأنها أدق في التعبير عن الرمز الأدبي، إذ رأينا أن الرمزية عند الغربيين أنها تنقسم إلى رمزية عامة يدخل فيها الأمثال التي وردت عن الحيوانات وما يشابهها من

<sup>1</sup>-ريتا عوض: بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس)، دار الأدب، ط2، لبنان، 2008، ص ص 185-186.

<sup>2</sup>- عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، القاهرة، دت، ص 86.

الرموز، وإلى رمزية أدبية تخالف الأولى في اتجاهها وهي عناها البحتري عندما قال: (والشعر لمح تكفي إشارته)

لأنه لا يقصد الرمزية العامة ولا يريد لها، ولهذا نراه متفقا كل الاتفاق مع الرمزيين الغربيين لا في الخطوط العريضة الكبرى فحسب، بل حتى في بعض الجزئيات، إذ نستطيع القول أن البحتري سبق الغربيين إلى الرمزية بقرون عديدة، وأن شعره قريب من الشعر الغربي الحديث رغم اختلاف البيئات والعصور والظروف التي نشأ فيها الشعراء.<sup>1</sup> وما يمكن أن يقال عن الرمزية العربية في الشعر القديم أنها جاءت على شكل "الرمز العام"، كما ورد عند أمم أخرى ولم تعرف كمذهب رمزي بمعناه الحديث، باستثناء وجود بعض النماذج الفريدة في الشعر الرمزي قريبة إلى المذهبية الرمزية الحديثة.

## 2- نشأة وتطور الرمزية في الشعر العربي الحديث:

ظهور الرمزية كمذهب في الشعر العربي الحديث كان محل اختلاف في الرأي، وأسأل الكثير من الحبر حولها، وذلك من حيث الأسباب التي أدت لظهورها، وكذا الريادة في زرع بذور الرمزية كمذهب لمن كانت؟، وهل كانت الرمزية في أسسها وتوجهها مماثلة للرمزية الغربية، كلها تساؤلات تتوضح في هذه اللمحة البسيطة.

يرى أن ظهور الرمزية في الشعر العربي الحديث كان ناتج عن الصلات السياسية المتمثلة في الاحتلال الفرنسي ثم الانجليزي فالفرنسي للوطن العربي منذ أخريات القرن الثامن عشر، وقد مهدت تلك الصلات بدورها لعلاقات اجتماعية وثقافية، ومن نتائج هذه الأخيرة ترجمة الكثير من معالم الفكر الغربي منها "نماذج لشعر المذهب الرمزي" وتأثر الشعراء العرب بها، ولم يكن ظهور الرمزية في الشعر العربي الحديث نتيجة ردود الفعل الاجتماعية والنفسية المعقدة التي كانت وراء ظهور الرمزية في الغرب، وقد يكون مما شجع على ظهورها أيضا اليوم الذي أحست فيه الصفوة الأدبية، ممن تعلم في مهاد التراث الغربي الحديث، وهي تواجه قصائد المناسبات وكل تلك البلاغة التي كانت تميز

<sup>1</sup> - موهوب مصطفى: الرمزية عند البحتري، ش، الوطنية، ن ت ، د ط، الجزائر، 1981، ص 287.

بعض الشيء. شعر المدرسة الكلاسيكية الحديثة، إلا أنه لا بد هنا من ذكر أن مجيء الرمزية لمجابهة تلك القوى لم تكن مسألة ضرورة، لأن الرومانسية نفسها كانت تحاول القيام بهذه المهمة، إذ يبدو أن الرومانسية بعامة تحمل عادة "بذور الرمزية"، ففي تصفح الشعر العربي الحديث، نجد أن بعض عناصر الرمزية تظهر في الشعر الرومانسي عند "خليل جبران" وغيره من شعراء المهجر.<sup>1</sup>

ولتبيان رمزية أدب جبران ينظر إلى بعض الآراء فيه، يقول "مارون عبود" عن كتابة جبران "أن فيها بياض الثلوج، وخضرة المروج، واصفرار البيادر، وأنين المعاصر، ... وأرسلت نورا ونارا وموسيقا ...". وربما لكل ذلك أردف "مارون عبود" فقال: "أنه مؤسس مدرستين في لغة الضاد: الرومانسية والرمزية، وأيد "د. إسماعيل أدهم" رأي "مارون عبود" فقال: "أنه وفي كتابات جبران، ظهرت الرمزية للمرة الأولى في الأدب العربي الحديث مختلطة بنزعة رومانسية تخيلية". ولكن ذلك لا يحمل على القول أن جبران شاعر رمزي، لأن رمزيته جزئية سرعان ما تنهار أمام طغيان الرومانسية المنفعلة.<sup>2</sup>

ولكن القول بظهور بذور الرمزية في الشعر الرومانسي حقيقة، قد تضلل بعض النقاد، فيجد أن الرمزية العربية شأن الحركة الفرنسية كانت مترتبة على الرومانسية ونتيجة لها، لكن نظرة على الأحداث الشعرية في عقد العشرينات تبين أن أولى القصائد الرمزية الناجحة<sup>3</sup> قصيدة "الشراع" لخليل شيبوب، والتي تأثر فيها بـ: ARHUR RIMBAUD في قصيدته "السكري" وقصيدته "نشيد السكون" للشاعر "أديب مظهر"<sup>4</sup> والتي كتبت في حدود 1925؛ أي قبل أن تصبح الرومانسية العربية الحديثة حركة قوية

<sup>1</sup> - سلمى خضراء الجبوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي المعاصر، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات

الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2007، ص ص. 502-503

<sup>2</sup> - انطونيوس بطرس: الأدب (تعريفه، أنواعه، مذهبها)، ص 354.

<sup>3</sup> - سلمى خضراء الجبوسي: المرجع السابق، ص 502-503

<sup>4</sup> - محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص 163.

ناجحة قادرة على الإرهاص بحركات أخرى، ويبدو لذلك أن الرمزية في الشعر العربي الحديث لم تجيء نتيجة للرومانسية ومبالغتها بل إنها قد نبعت من مصادر أخرى.

ومنه كان على الشعر العربي أن ينتظر حتى مطلع الربع الثاني من القرن العشرين حتى يظفر ببواكير تأثير رمزي حقيقي على يد "بشر فارس" في مصر ومن سار على درب أديب مظهر من الشعراء، أبرزهم "سعيد عقل" الذي كان لدراسته التحليلية (مقدمة المجدية سنة 1937) عن اللاوعي ودوره في الإبداع الشعري، والأصوات وقيمتها الإيحائية، والشعر وصلته ببقية الفنون - كان لدراسته تلك فضل تقديم النظرية الرمزية - على نحو منهجي - إلى القارئ اللبناني، كما قدر لمقدمة مسرحية "مفرق الطريق" "لبشر فارس" سنة (1938) أن تقوم بالدور نفسه بالنسبة للقارئ المصري.<sup>1</sup>

وإن كان النتاج الرمزي ذاته قد بدأ يغزو الحقل الأدبي منذ بداية الثلاثينيات. وآية هذا أن وعي شعرائنا ونقادنا بالرمز لم يلتزم - على الأقل في تلك المرحلة المبكرة بالمفهوم المذهبي الدقيق، وأنه قد تجلى على أقلام الشعراء بخاصة في أشكال رئيسية أربعة:

- الكلمات ذات الإيحاء التراثي تاريخيا وعاطفيا.
- الصورة الجزئية التي تستغل فيها وسائل الأداء الرمزي مثل: تراسل معطيات الحواس وتبادل مجالات الإدراك بين المحسوس والمعنوي.
- بناء الصورة الرمزية بناء مركبا يوحي بفكرة أو شعور، وذلك أقرب المفاهيم العربية -في تلك الفترة- إلى الرمز بمعناه الدقيق وقد لاحظنا بخاصة في شعر "بشر فارس".
- الاستعارة الرمزية التي ترمي إلى تقرير فكرة أو استخلاص عبرة وتلك -لضيق إيحائها وتعين المقصود منها- خارج نطاق الرمز بمعناه الدقيق.

<sup>1</sup> - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د ط، مصر، 1977، ص 426.

وطبيعي أن تتطور هذه المفاهيم من بعد وأن تنتوع اتجاهاتها بتتوع شخصيات الشعراء وثقافتهم وميولهم ومدى تأثر كل منهم بتراث الرمزية.<sup>1</sup>

كان لتجلي الرمزية كمذهب في الشعر العربي الحديث عبر مراحل، حيث البداية بزرع بذورها بتجارب ناجحة نوعا ما من بعض الشعراء، ثم التفاف الشعراء بشكل واسع حول نظم الشعر الرمزي وبدرجات متفاوتة متسمة بروح الإبداع والتطور، وظهور بذلك رمزية عربية بسميات متميزة واتجاهات رمزية متعددة.

3- سمات الرمزية في اشعر العربي الحديث:

توضحت معالم الرمزية العربية في الشعر الحديث في النصف الثاني من القرن العشرين، معبرة عن معاناة قومية وتجارب إنسانية، وفتحت آفاق جديدة في الأدب الإنساني في حدود مواصفاتها، ومقوماتها الصحيحة وتجلت سماتها كما يلي:

**السمة الأولى:** التي تتميز بها الاعمال الرمزية، التي طلعت في الشعر العربي الحديث، تظهر في الاحاح الشديد على مبدأ الوحدة العضوية للبناء الفني وهي غير الوحدة الموضوعية، فالوحدة العضوية حسب المفهوم،<sup>2</sup> الذي نادى به "كولريديج" والرومنطقيون الألمان قبله، فلا يجده في التصور العربي للشعر، وتلك الوحدة العضوية،<sup>3</sup> التي تعني أن تنمو القصيدة من داخلها أن تكون نسيجا حيا متناسقا تنمو عضويا، تؤدي فيه خلية إلى التي تليها إلى أن يكتمل البناء الفني، وقد ظهرت الوحدة العضوية بهذا المفهوم في الشعر الرمزي العربي، وبات من المستحيل قطع جزءا ومقطع عن عضوية القصيدة، لان هذا يعطل العناصر الجمالية والمعنوية، فالرمزيون العرب يرون أن القصيدة ما هي إلا فضاء فني مستقل يتداخل فيه كل شيء، وبهذا تكون القصيدة موجة لا بيتا تمثل مسارات وأصوات تتلاقى وتندمج أو يخترق بعضها بعضا.

<sup>1</sup> - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 209.

<sup>2</sup> - نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص 469.

<sup>3</sup> - ريتا عوض: بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس)، ص 65

أما عن السمة الثانية، حدس القارئ يفسر النغم الشعري، والشعر عندهم انفعال بالقلوب والعقول يغير نظام الكلام، فمعنى الشيء الأدبي ليس متضمنا في الكلمات، أي أن القيمة الشعرية ليست معطاة في الكلمات المباشرة، وإنما تتوقف على المسافة بينها وبين الكلمات التي يتصورها القارئ ذهنيا، ومن هنا تركوا للقارئ الحدس في تفسير النغم الرمزي لأن الرمزية تؤثر الاقتصاد في التعبير، وشدت الرمزيون على القراءة في الآثار الأدبية على ضوء البيت المتجدد للنص الشعري، وفهموا القراءة جهدا مقابلا للنص كي يتم الالتقاء بين المبدع والقارئ.<sup>1</sup>

والسمة الثالثة هي الرمز أداة التعبير، الرمز باعتباره أداة من أدوات التعبير ليس فنا مستحدثا ولكنه وسيلة مألوفة وتعبيرية لا يمكن أدائها بواسطة التصريح.<sup>2</sup> ويتخذ الشعراء من الرمز أداة للتعبير بدعوى أن اللغة العادية عاجزة عن احتواء التجربة الشعورية، وإخراج ما في اللاشعور وتوليد الأفكار الكثيرة في ذهن القارئ فبالرغم تستطيع اللغة نقل هذه التجربة وقد يجعلون من الرمز المعادل الموضوعي الذي يمكن إسقاط التجربة الذاتية عليه فتارة يستخدمون الأسطورة رمزا يغنون بها أدبهم.<sup>3</sup> فالأسطورة بصفاتها مادة خاما، وظفها الأديب بما تختزنه من طاقات حيوية ودلالات حية ترقى بالأدب إلى مستويات عليا وتمكنه من خلق صورة إيجابية تحمل شحنات عاطفية ونفسية وفنية تزيد الأدب غني ودينامية جديدة من منطلق أن الأسطورة في حقيقة الأمر ما هي إلا تجربة إنسانية خلاقة اختلط فيها الخيال والإبداع.<sup>4</sup> وقد يعتمدون على المعطيات الدينية المؤثرة، وقد يكون الاتكاء الرمزي على التراث الأدبي والتاريخي، وقد تؤخذ الرموز من الطبيعة والشخصيات.

<sup>1</sup> - نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص ص 469-470.

<sup>2</sup> - السعيد بوسقطه الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، 2008، ص 33.

<sup>3</sup> - نسيب نشاوي، مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص 471.

<sup>4</sup> - راضية بوبكري: الأدب والأسطورة، د ع، منشورات مخبر الأدب العام المقارن، 23 و 24 جانفي 2007، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة، كلية الآداب، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص 19

ومن أبرز ذلك: الرموز الأسطورية (السندباد، العنقاء، التنين، تموز، عشتروت...)  
رموز من الشخصيات (صقر قريش، الخيام، مهيار...) رموز من الكون والطبيعة  
(العاصفة، الرعد، الرياح، الربيع، الشمس...) ومثل هذه الرموز في طبيعتها غنية ومثيرة  
وهي تأتي مرتبطة كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانها الشاعر.

**والسمة الرابعة هي العمق والتعقيد المعنوي** وهم يهدفون دوماً إلى الأعمق بغية  
إنتاج شعر عظيم وهذا ما سبب الغموض والإبهام في كثير مما كتبوا.<sup>1</sup>

والشعر الجديد يتسم معظمه، وخاصة في أروع نماذجه بالغموض، وهو ليس نقبض  
للبساطة وان الشعر البسيط الذي يهزنا هو في الوقت نفسه عميق.<sup>2</sup> لكن هذا الغموض  
تفسره الموسيقى الشعرية المتناغمة في ثنایا الألفاظ والتراكيب، التي توحى بأفاق المعاني  
وأبعادها يومئ بدلالات متنوعة تكسب الشعر تفسيرات متعددة، ويرى بعضهم أن  
الغموض ليس كله مستورد من بلاد الغرب ففي شعرنا القديم جذور له، ويقصدون بذلك  
ما يسمى بالخيال الذي يرتسم بالتعبير اللامباشر في التشبيه والاستعارة والكناية.<sup>3</sup>

**أما السمة الخامسة فهي هندسة الصورة وغزارتها،** والصورة الشعرية في الشعر  
الحديث فهي تستمد تكوينها من حياة الشاعر الواقعية، فهو الآن معني بالصورة الحية  
المثيرة المعبرة بعمق.<sup>4</sup>

وتكثر الصورة الشعرية بفرعها الحسي والمعنوي في الشعر الرمزي، لكنها تأتي  
مبهمة غامضة في أكثر الأحيان، وهندسة الصورة عندهم عملية أساسية في العمل الفني،  
لأنها في رأيهم تكسب الشعر إيحائية بعيدة المدى في النفوس، وفنية القصيدة لا تتولد من  
جمالية الاجراء، ان فنيها الحقيقية تتولد من الوشائج التي تربطها بمجموع القصيدة  
ويجعلها منبعاً للدلالات ومعظم الشعر الرمزي عبارات في صور متلاحقة.

<sup>1</sup> - نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص 471.

<sup>2</sup> - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياها الفنية والمعنوية)، المكتبة الأكاديمية، ط5، د ب، 1994،  
صص 161-166

<sup>3</sup> - نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص 472.

<sup>4</sup> - س. موريه: الشعر العربي الحديث (1800-1970) تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي، تر: شفيح السيد  
وسعد مصلوح، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 360.

تلك كانت إشارة إلى السمات العامة في الرمزية العربية استنتجت استنتاجاً مما ورد في الشعر الرمزي العربي، الذي لم تمهد له النظريات الفلسفية على غرار الرمزية الأوروبية، والسمات الرمزية العربية حددت بعد ظهورها أولاً ثم وضعت أسسه وقواعده الضابطة.<sup>1</sup>

#### 4-الاتجاهات الرمزية في الشعر العربي الحديث :

بعد ظهور المذهب الرمزي في الشعر العربي الحديث والتفاف الشعراء من حوله وتشربهم الكلي أو الجزئي لبعض أصوله، بدأت تظهر ثمة توجهات عدة لرمزية العربية، وكل اتجاه شعري رمزي يختلف عن الآخر في خصائصه.

وفي البداية كان ظهور اتجاه الرمزية الجمالية الخالصة ونعني بها نمطا من الرمزية تغنى شعراءه بالجمال المطلق، وحاولوا متابعة المذهب في نظرياته الجمالية ووسائله الفنية معاً، سواء كانت هذه المتابعة احتذاء تاماً يتناول جزئيات المذهب وكيانه، كما نلاحظ ذلك بالنسبة "لسعيد عقل" أو كانت استلهاماً لفلسفته وقضاياه العامة دون الوقوف عند تفصيلاته ودقائقه وهو ما نراه بوضوح في شعر صلاح لبكي ومنهما يتكون الاتجاه<sup>2</sup>

أما ثاني اتجاهات الرمزية في الشعر العربي الحديث هو اتجاه الرمزية الميتافيزيقية أو رمزية ما وراء الواقع وفيما يتم تخطي المحسوس والانعطاف تجاه الحياة الباطنية وأحسن من يمثلها "بشر فارس"<sup>3</sup>. وفي الاتجاه الرمزي عنده -وهو ما دعوناه بالرمزية الميتافيزيقية- جهدا ذاتيا خاصة وأنه إن تأثر بالمذهب الرمزي تأثراً مباشراً، فلقد أضفى عليه من روح الشرق وفلسفته مسحة صوفية رفيقة تذكرنا بالشاعر الرمزي الصوفي الألماني "رينرماريا ويلكه" الذي اتخذ من شعره وسيلة إلى النشوة الصوفية، وقد استطاع "بشر فارس" أن يغني معجم الشعر الرمزي بما وهبه من ألفاظ وتعابير استمدها أساساً من تراثنا الصوفي.

<sup>1</sup> - نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص ص 472-473.

<sup>2</sup> - محمد فتوح احمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 210.

<sup>3</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص 32.

وخلاصة الاتجاه الميتافيزيقية في الرمزية العربية الحديثة، يتضح منها حرص "بشر فارس" على فلسفة المذهب واصوله العامة ممتزجة بنبض شبه صوفي، ورغبة روحية دائبة في تجاوز الواقع المحسوس إلى ما وراءه، ولعل هذه الناحية في الشعر هي التي حددت النزوع الميتافيزيقي باعتباره التسمية المثلى لهذا الاتجاه الرمزي.<sup>1</sup>

وثالث الاتجاهات الرمزية في الشعر العربي الحديث هو رمزية التعبير وهي الاستفادة من وسائل الرمزية في التعبير والصياغة الجزئية دون التأثير بفلسفتها العامة كالصورة القائمة على التراسل الحسي، الاعتماد على الانفعالات الموسيقية.<sup>2</sup>

وهذا الاتجاه الرمزي قد تفشي على أقلام الشعراء المعاصرين بدرجات متفاوتة، ويستطيع الباحث ان يلمح مخايلها في بعض الصور الشعرية عند "إبراهيم ناجي" من مصر "أبي القاسم الشابي" من تونس و"أمين نخلة" في لبنان و"نزار قباني" في سوريا.

ونوجز القول في أهم الخصائص الفنية التي تجلت فيها رمزية التعبير وهي:

-بناء الصور (التراسل-التجسيد-التشخيص) وفي هذه الخاصية يرى الرمزيون أن الانفعالات التي تعكسها الحواس قد تتشابه من حيث وقعها النفسي فقد يترك الصوت أثرا شبيهاً بذلك الذي يترك اللون أو تخلفه رائحة ومن ثم تتبادل المحسوسات، فتوصف معطيات حاسة بأوصاف حاسة أخرى، بل قد يخفي الشاعر خصائص الماديات على المعنويات أو يخلع سمات المعنويات على الماديات، أما ثاني خاصة في رمزية التعبير هي الاستعارة الرمزية والرمز، وزمرة الشعراء هنا فوق تأثرها الرمزي في التعبير والصورة الجزئية، كانت تلجأ أحيانا إلى ما أسميناه بالكناية أو الاستعارة الرمزية ذات الصورة المركبة وفيها يعمد الشاعر آلة تجسيد المعاني المجردة في أشكال حسية ليست قيمتها في ذاتها بل فيما تشير إليه من معاني يمكن للمتلقي أن يدركها من غير جهد،

<sup>1</sup> - محمد فتوح احمد: الحداثة الشعرية (الأصول والتجليات)، دار غريب، د ط، القاهرة، 2007، ص ص 179-190.

<sup>2</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص 33.

وغالبا ما يكفيه الشاعر هذا العبء فيصرح له بما يقصد ومن هنا كان قصور امثال هذه الاستعارات عن مستوى الرمز الحق في شمول إيحائية وعمقه.<sup>1</sup>

ونأتي إلى اتجاه الرمزية النفسية ونقصد بها نزوع بعض شعرائنا وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية- إلى استخدام الرمز للكشف عن الحياة الباطنية للإنسان المعاصر، سواء امتد هذا الكشف إلى أعماق الذات فامتاح من اللاشعور كما فعلت الشاعرة العراقية "نازك الملائكة" في بعض قصائدها، او اكتفى بالنقاط حالات الشعور من حب وحرز ورعب، مع الإيحاء بوقع اللحظة الحضارية الراهنة على لوحة الات الشاعرة وهو ما جنح اليه الشاعر المصري "صلاح عبد الصبور".

ويبدو أن الحرب العالمية الثانية بما أحدثته من تموجات بعيدة المدى حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية، كانت بالغة الأثر في تنمية هذا الاتجاه في شعرنا، وفي ظل تلك الأوضاع الغائمة كان طبيعة ان تتسحب الذات الشاعرة من الحياة العامة، تحاول أن تجد في عالمها الداخل ما لم تجده في الخارج.

وقد واكب المؤثرات السياسية والاجتماعية وعي فني منظم بتراث الشعر العالمي، نتيجة لنمو الثقافة العربية الحديثة، وبذلك تفتحت امام ناشئة الشعراء كوى كانت مغلقة، أطلوا منها بخاصة على الشعر الانجليزي، فقرأوا وتمثلوا أحيانا وحاولوا أحيانا أخرى- دون تجربة ذاتية أصيلة- ما كتبه أمثال "ت. س. اليوت" و"ازراباوند" وغيرهم ممن استفادوا من تراث الرمزية الفرنسية.<sup>2</sup>

ثم نتعرف على الاتجاه الخامس وهو الرمزية الاسطورية ونعني بها اتخاذ الأسطورة "MYTH" قالباً رمزياً يمكن فيه رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصيات وأحداث ومواقف عصرية، وبذلك تكون وظيفة الأسطورة تفسيرية استعارية أو إهمال شخصياتها وإحداثها والاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيها بغية

<sup>1</sup> - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 251.

<sup>2</sup> - محمد فتوح أحمد:، الحداثة الشعرية (الأصول والتجليات)، ص 216

الإيحاء بموقف معاصر يماثله، ولذلك تكون الأسطورة رمزية بنائية تمتزج بجسم القصيدة وتصبح إحدى لبناتها العضوية.<sup>1</sup>

ومن هنا يبدو أن مسألة علاقة الأسطورة بالأدب علاقة ترابطية تكاد لا تتفصم أو أواصرهما لسبب بسيط يكمن في أن هذا الإنسان يعي الأشياء من حوله ويعبر عن مكوناته في ضوء ما ألهمه الله من فطرة وبذلك وجد الأدب ضالته في الأسطورة كما وجدت في الوقت نفسه الأسطورة ضالتها في الأدب فكلاهما خدم الآخر بطريقة عفوية.<sup>2</sup> وأن نجاح الرمز الأسطوري يرجع في الأساس إلى مقدرة الشاعر على استيعابه والافتتاع به، حتى يصبح بعضا من مشاعره وأخيلته.

وخلاصة ما سبق ذكره رأينا، أن كل من هذه الاتجاهات فقد انصرف بجهد إلى ناحية في الإبداع الشعري، تميز بها أكثر من سواها، فعرفناه بها "فسعيد عقل" قد عني بمتابعة الرمزيين ومحاكاتهم فكانت رمزيته خالصة أو تكاد تكون، بينهما حاول "بشر فارس" التعليق فيما وراء المحسوس، فكانت رمزية ميتافيزيقية، أما الطائفة الثالثة فلم تتجاوز رمزيته رمزية التعبير، هذا على حين انعطف الشباب الشاعر تجاه الحياة الباطنية الواعية واللاواعية، فكانت رمزيته نفسية باعتبار أبرز مجالاتها وهو "النفس" وما يمكن أن يقال عن هذه الاتجاهات أن أيا منها لم يصل إلى مرحلة المذهبية الكاملة وإن حاولها بعضهم.<sup>3</sup>

وتلك في النهاية صورة عامة لاتجاهات الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، محاولة لتعقب الظاهرة في نشأتها وتطورها، والملاحظ أن الصيغة الرمزية الأولى قد وصلت في بعض نماذجها إلى مرحلة التصفية المذهبية، أو كادت وأنها كانت أكثر إتكاء على وسائل الإيحاء الصورية والموسيقية، هذا على حين توفر الجيل الجديد على بناء الرمز باعتباره إطارا كليا للقصيدة، مستغلا في ذلك بعض المصادر التي لم تتح

<sup>1</sup> - محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 290.

<sup>2</sup> - راضية بوبكري: الأدب والأسطورة، منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، د ع، 23 و 24 جانفي 2007، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص 19.

<sup>3</sup> - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص ص 268-290

لسابقه من تراث وأسطورة، ويمكن أقول أن هذا الاختلاف في الاهتمامات الفنية هو بدوره نتيجة طبيعية لاختلاف المؤثرات التي تعرض لها كل من الجيلين.<sup>1</sup>

#### 5- أنواع الرمز ومصادره في الشعر العربي الحديث:

بعد أن توطدت الرمزية في الشعر العربي الحديث، بدأ الشعراء يتفنون في انتقاء ما يناسب تجربتهم الشعرية من أشكال متنوعة للرموز، ومن مصادر متعددة تنسجم مع ما يهدفون إليه ورغبة في التأثير العميق والمجدي في أنفس المتلقين.

وللتعرف على مصادر الرمز وأشكاله في الشعر العربي الحديث ننتقل من تقسيم الباحثين "رينيه ويلك" و"أوستن وارين" في كتابهما "نظرية الادب" المنطوي على ثلاثة أنواع "الرموز التراثية" و"الرمزية الخاصة" و"الرمزية الطبيعية" غير أن الفئة الأولى "الرموز التراثية" هي الأكثر بروز في حركة الشعر العربي الحديث.<sup>2</sup>

وهو في ذلك يلبي حاجات عديدة يحددها "علي عشري زايد" على المستوى الثقافي بإحياء للتراث وتأثر بالشعر الغربي وتواصل مع الثقافة الإنسانية وعلى المستوى السياسي والاجتماعي بتجنب القهر والاضطهاد، والمستوى القومي بالارتداد إلى الجذور ورصد الغزو الاجنبي، وعلى المستوى النفسي بالهروب من غربة الحاضر إلى عالم حلمي أفضل.<sup>3</sup>

وتتم عملية التوظيف والاستخدام لهذه الرموز كما يرى الباحث "علي عشري زايد" عبر مراحل ثلاث هي:

- اختيار ما يناسب تجربة الشاعر من ملامح هذه الشخصية.
- تأويل هذه الملامح تأويلا خاصا يلائم طبيعة التجربة.
- إضفاء الأبعاد المعاصرة لتجربة الشاعر على هذه الملامح.

<sup>1</sup> - محمد فتوح أحمد: الحدائث الشعرية (الأصول والتجليات)، ص 262.

<sup>2</sup> - السعيد بوسقطة: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة، ط2، الجزائر، 2008، ص 45.

<sup>3</sup> - إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008، ص342.

وإذا توجهنا إلى معرفة أنواع الرموز التراثية التي شاعت في القصيدة العربية الحديثة نجد أنها توزع في أشكال عدة استمدت من المصادر التالية: من موروث ديني، وموروث صوفي، وموروث تاريخي، وموروث أدبي، وموروث أسطوري، أو فلكلوري، عناصر ومعطيات مختلفة من أحداث وشخصيات وإشارات يبنون منها رموزهم، ويوحون من خلالها بأكثر أبعاد رؤيتهم الشعرية وقد يستخدم الشاعر المعطى التراثي رمزا جزئيا يعبر عن بعد من ابعاد رؤيته الشعرية، كما قد يستخدمه رمزا كليا يستوعب رؤيته الشعرية في القصيدة بكل أبعادها.<sup>1</sup>

وإذا أردنا التفصيل في تنوع الأشكال الرمزية التراثية الموظفة في الشعر العربي الحديث، نجد أنه قد استخدم الحداثيون رمزا من نوع آخر جديدا لا نظير له في الشعر العربي القديم أو المعاصر، أعني به تضمين القصيدة أسطورة أو أكثر أو حكاية خرافية وكان اقتحام الشاعر الحداثي عالم الأسطورة من أبوابها المختلفة المتعددة فمنهم من لجأ إلى خلق أساطير معاصرة تتناسب التجربة الجديدة مثل: اتخاذ (لوركا) شاعر اسباني أسطورة أو (باجس أبو عطون) شهيد فلسطيني نموذجا اسطوريا وبعض الشعراء لجأ إلى الأسطورة الإغريقية والمصرية القديمة والبابلية، مثل: (تموز-عشتار-إيزيس ...) وقد يلجأ شاعر آخر الى استخدام الرموز للمحاكاة المستمرة.<sup>2</sup>

كما توزعت هذه الرموز حول اشكال أخرى منها التاريخ (الحجاج صلاح الدين الأيوبي، الحسين بن علي ...)، والأدب (المتنبي، أبو نواس، المعري...)، الدين (المسيح، أيوب، الخضر...)، والقصص العشبية (السندباد، الملك عجيب بن الخصب ...)، والتصوف (السمر وردى، الغوالي، الحلاج ...)، كما يستخدم الشاعر أسلوب "القناع" الذي يمثل شخصية تاريخية يتستر وراءها ليعبر عن موقفه أو يقيم تجربة الواقع الحديث.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - على عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، ابن سينا، ط4، القاهرة، 2002، ص ص 121-122.

<sup>2</sup> - إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، ط1، الأردن، 2003، ص ص 333-373.

<sup>3</sup> - إبراهيم رماني الغموض في الشعر العربي الحديث، م الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008، ص 343.

كما يلاحظ أن استخدام الأساطير الإسلامية في الشعر العربي الكلاسيكي، إما لمغزاها الخاص، أو على سبيل المثال الاستعارة، إلا أن استخدام الرموز في الشعر العربي المعاصر أصبح أداة توصيل (أي وسيلة لاستدعاء حدث مهم)، أو ذا دلالة زوجية (بمعنى أن الرمز هو الشيء المرموز إليه).

ومما لا شك فيه أن الشعر اكتسب أبعادا جديدة عميقة باستخدام المادة الرمزية والأسطورية فاستخدام رموز متنوعة بنفس معانيها مثل: شخصية المسيح مع محمد (عليهما السلام)، أو آلهة الشرقيين وطائر العنقاء، يساعد الشاعر على إبراز العامل المشترك في الحضارة الإنسانية، زيادة على أنه يجعله شاعرا عالميا يستخدم صوت التاريخ ليبعث الماضي ويقربه من الحاضر ومشكلاته.<sup>1</sup>

ونأتي لنتعرف على الرمزية الخاصة ببعض التفصيل في الشعر العربي الحديث والتي تشكل مجالا رحبا لحركة الشاعر يجد فيه حرية أكثر وفرصة أكبر لاختيار رمزه الذاتي ويتقارب المعجم الرمزي للشعر العربي الحديث ليؤلف حقا دلاليا كليا نعثر فيه مثلا على: (القمح للخصوبة، والحجر للجماد والموت، والبحر للمغامرة والمستقبل)، إلا أن هذه الرموز لا تستدعي دلالة ثابتة واحدة لدى جميع الشعراء.<sup>2</sup>

وقد سعي الشاعر العربي إلى خلق رموزه الخاصة به ، رموزه الشخصية التي تتلصق بعالمه الشعري، وتصبح جزءا داخليا حميما من بنائه ولغته وانشغالاته الفكرية والوجدانية والفنية.

**والرمز الشخصي** هو ذلك الرمز الذي يبتكره الشاعر ابتكارا محضا أو يقتلعه من منبته الأساس ليفرغه جزئيا أو كليا، من شحنته الرمزية، الاول ثم يملأه بدلالة شخصية أو مغزى ذاتي مستمد من تجربته الخاصة، وكثيرا هي الرموز التي واجهها<sup>3</sup> الشاعر العربي الحديث، لكن نجاحه لم يكن مؤكدا في انتزاعها من كهوفها الاولى الحافلة بدلالات

<sup>1</sup>-س موريه: الشعر العربي الحديث، تر: شفيق السيد، وسعد مصلوح، دار غريب، دط، القاهرة، 2003، ص ص 362-377

<sup>2</sup>- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث ، م ، الوطنية ، ف م ، الجزائر، 2008، ص 347.

<sup>3</sup>- على جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، دار الشروق ، ط1، الأردن ، 2003، ص 47.

ثابتة، وبعيدة لقد ظل رمز المسيح مثلاً، في إطار دلالاته الراسخة: الصلب أو الموت افتداء للآخرين، ولم يستطيع أحد تحرير هذا الرمز تماماً من ميراثه، ظل رمزا مسيحياً بدلالة صلبة، قديمة، لا يمكن اقتلاعها تماماً.<sup>1</sup>

نأتي لتعرف على الرمز الطبيعية في الشعر العربي الحديث، والطبيعة موضوع اثير ومتجدد مع الازمنة رائج في المذاهب الشعرية والنثرية، والطبيعة بمفهوم أدق هي مجموع الكائنات أو الكون بأجمعه أو هي الجزء غير العاقل منه.<sup>2</sup>

ويقصد بالرمز الطبيعي ما أخذ من الطبيعة صحرائها وينابيعها وزهرها، والشعراء يسقطون على هذه الرموز ذواتهم ويعمل الاسقاط عند بعض الشعراء إلى مرتبة (المعادل الموضوعي).<sup>3</sup>

وكأمثلة عن اعتماد الشاعر الحدائي على الرمز الطبيعي يرمز بالمطر إلى الأخير والتغير والثورة، ويرمز بالقحط والجفاف والخراب إلى القهر والتسلط والعبودية، وبالصحراء يرمز للخواء الروحي والفقر المادي<sup>4</sup>

أصبح تفاعل الشاعر مع الطبيعة تفاعلاً حياً، فلم تعد الطبيعة هذا الشيء المنفصل عن تجربة الشاعر وإنما أصبحت مظاهر الطبيعة رموزاً لحالة الشاعر الشعورية.<sup>5</sup>

وتبقى الطبيعة نبعاً للرموز والاساطير لا نهاية له لقد احتضنت منذ البدء الفعل الإنساني: تثيره وتنميه وتحاوره ويسحرها وجلالها الغامض الطري كانت مصدراً لدهشة الإنسان ومنبعاً، لحنينه وإحساسه بالجمال كانت بعبارة أخرى رمزا لتثوقه إلى المطلق والسامي والبعيد.<sup>6</sup>

1- علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، ص 49

2- محمد بوزواوي: معجم مصطلحات الأدب، الدار البيضاء الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 187

3- نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي الحديث، ص 482

4- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 332

5- محمد زكي العشماوي: أعلام الأدب العربي الحديث (اتجاهاتهم الفنية)، دار المعرفة الجامعية، ط، الإسكندرية، 1997،

ص 56

6- علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، ص 51.

ويبقى الشاعر العربي الحديث يحتاج للرمز كأداة تعبير ليثري به نصه الشعري وليوصل صدى شعره للمتلقي. وحيث تختلف تجربة شاعر عن آخر كان لأبد من التنوع في مصادر الرموز، فالتراثية هي الأكثر حضوراً في الشعر العربي الحديث ثم الرمز الخاص وأخيراً الرمز الطبيعي.

تعرفنا فيما سبق على الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، وذلك من خلال التطرق إلى العوامل المختلفة التي ساعدت على ظهورها، وعن بذورها الأولى في نتاج الشعراء، وكذا تطورها، واتضح من ثمة سماتها، وكذا تعدد اتجاهاتها الرمزية بتعدد مشارب الشعراء ثقافياً. وقد تبين لنا كذلك تقن الشعراء في توظيف الرمز من مصادر مختلفة منها الطبيعية، وهذه الأخيرة لجأ إليها الكثير من شعراء العصر الحديث، واتخذوا من عناصرها الحية والجامدة رموزاً للتعبير عن تجربتهم الشعرية ذات الأبعاد الحياتية المختلفة، ومن هؤلاء الشعراء نجد الشاعر "إبراهيم طوقان" الذي عرف الرمز عنده بمعناه العام، وكذلك كان محسوب بعض من شعره في إطار الرمزية العربية في العصر الحديث، كمذهب أدبي في البدايات الأولى لها، وهذا ما سنتطرق له في الدراسة التطبيقية في الفصل الموالي من خلال نماذج من شعره، ويكون الاهتمام منصباً حول الرمز الطبيعي.



## الفصل الثاني

تجلي الرمز الطبيعي في  
شعر إبراهيم طوقان  
ودلالاته

الطبيعة، هذا المصطلح المتألق، الجميل الأوصاف، يلبس ثوب البياض شتاء، ويرتدي ثوب الورود ربيعاً، ويداعبنا بنسيمه العليل صيفاً، ويحزننا خريفاً، والطبيعة ليست كل هذا فقط، بل هي بلبل يغرد وفراشة زاهية الألوان، وغزال بهي الطلعة، وهي كذلك جبل شامخ، ونهر هامر، وشمس مشرقة.

وقد احتفى الأدب العربي منذ عصره الأول بالطبيعة أيما احتفاء، خاصة في ميدان الشعر، الذي كان فيه الشعراء أكثر انجذاباً لسحر الطبيعة وجمالها الخلاب الذي يستفز كوامن الحس ويهز أدق أعلاق الشعور، فانفض الشعراء ناظمين أروع القصائد الشعرية وأرقاها، و"كان الأدب العربي ينظر إلى الطبيعة في عصوره المختلفة... تطور هاته النظرة على اختلاف العصور والبيئات"<sup>1</sup> بمعنى الأدب العربي قسم إلى مراحل عدة خاصة الشعر منه، فوجد الشعر الجاهلي والأموي فالعباسي والأندلسي وأخيراً الشعر الحديث، وكانت كلها تهتم بالطبيعة، لكن هذا الحضور لهذه الأخيرة يختلف في سماته باختلاف العصور والبيئات، فتكون شاعرية الأمة بحسب وسطها الطبيعي، فإن كان بهيجا نظراً كانت شاعرية الأمة خصبة ومنتجة والعكس.

وظهرت الطبيعة في الشعر العربي حسب المراحل المذكورة سابقاً في أشكال متباينة، بين حضور كلي "وصف الطبيعة ومفرداتها، وهو ما نسميه اصطلاحاً بشعر الطبيعة"<sup>2</sup> أو وجود جزئي عند الاستعانة بعناصر الطبيعة في تشكيل الصور الفنية كالاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يعرف بالرمزية العامة، ثم تطور إلى توظيف عناصر الطبيعة حيها وجامدها، كرموز يعبر الشاعر من خلالها عن تجربته الشعرية وهو ما يعرف بالرمزية الأدبية أو الفنية، وهذا ما يراه بعض الدارسين ويؤكدون عليه "الرمز بشتى صورته المجازية والبلاغية والإيحائية تعميق للمعنى الشعري ومصدر للإدهاش

1 - أحمد حسن بسبح، الخيال الشعري عند العرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1995، ص. 75.

2 - بهاء حسب الله، ظواهر أدبية في الشعر العربي القديم والمعاصر، دار الوفاء، د ط، الإسكندرية، ص. 107.

والتأثير وتجسيد لجماليات التشكيل الشعري".<sup>1</sup> وهذا ما ينطبق على الرمز الطبيعي في أي صورة رمزية جاء، فقد كان منبعاً ثرياً، وفاضاً بالعطاء للشعراء، ومسائراً لمراحل الشعر العربي، فشاع توظيفه عند شعراء العصر الحديث، وتفننوا فيه حسب تطلعات كل شاعر، ومن هؤلاء الشعراء، نتطلع إلى علم من الأعلام الذين ظهرُوا في فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، وهو الشاعر "إبراهيم طوقان"، شاعر فلسطين وبلبلها المغرد بأشجى الأشعار في تلك الفترة، الذي نهل من الطبيعة، وجعل من عناصرها المختلفة رموزاً وظفها كوسيلة للتعبير في أعماله الشعرية، إذ شكلت دعماً غنياً بالدلالات القوية التأثير فخدمت نتاجه الشعري جمالياً وإنسانياً.

ومنهُ نتطلع إلى دراسة الرموز الطبيعية في شعر إبراهيم طوقان باستخراجها وتحليل دلالاتها، وكذلك إجراء مقارنة بين دلالات هاته الرموز الطبيعية ودلالاتها عند غيره من الشعراء، وكذا السعي إلى معرفة أنواع الرموز الطبيعية الموظفة في شعره وأبرزها، ثم محاولة معرفة سمات رموزه الطبيعية وكذا اتجاهه الرمزي، وكل هذا سيتضح في ثنايا البحث.

والبداية ستكون باستخراج الرموز الطبيعية الموظفة في شعر إبراهيم طوقان وتحليل دلالاتها ومقاصد توظيفها، فيتم اختيار نماذج شعرية من أهم أعماله المختلفة وأشهرها، ونبدأ بقصيدة "مصرع بلبل"، وقد استوحاها شاعرنا من إحدى رقصات مرغريتا الإشبيلية، ومتأثراً بقصيدة "البلبل والوردة" للشاعر الإنجليزي "أوسكار وايلد"، وهذا يبرز ذوق شاعرنا إبراهيم طوقان وثقافته الواسعة، فمرغريتا الإشبيلية تذكره بالملامح العربية الأندلسية - كنز العرب المفقود -، أما قصيدة "العندليب والوردة" لأوسكار وايلد فهي تبرز تعطشه لمعرفة جماليات الشعر في الثقافات الأخرى، فالشاعر إبراهيم

<sup>1</sup> - أحمد الزعبي، أسلوبيات القصيدة المعاصرة (دراسة حركة الشعر في الأردن وفلسطين من 1950-2000م)، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 2007، ص. 104.

طوقان ومن خلال قصيدته "مصرع بلبل" التي نظمها بشكل "حكاية رمزية" \* عالج من خلالها مشهدا اجتماعيا مستعينا في ذلك بالرموز الطبيعية التي اختارها كوسيلة ليوصل من خلالها الأفكار التي يريد تبليغها، وكان قد أوضح في مقدمة له سبقت قصيدته متحدثا عن مضمونها ومبرزاً أهم رموزها الطبيعية التي انبنى عليها هيكل قصيدته، وشارحا لدلالاتها ثم بين المغزى المراد منها في البيتين الأخيرين من قصيدته، واستهل مقدمته تلك قائلا: "حكاية رمزية تمثل الواقع في حياة المدن ... أما البلبل في هذه الحكاية فرمز للشباب المخدوع، وأما الوردة فرمز بائعة الهوى والعبث، وأما الروض رمز الحانة أو الملهى".<sup>1</sup>

ومن خلال مقدمة الشاعر عرفنا أهم الرموز الطبيعية الموظفة في هذه القصيدة -

مصرع بلبل - ويظهر ذلك من خلال الأبيات التالية يقول:

قَدَرُ ساقه فأواه روضاً \*\*\* لم يكن طار فيه قَبَلاً وغنى  
 فاستوى فوق أَيْكَةٍ ورمى عَيْنِيهِ فيما هناك يُسرى ويُمْنى  
 وإذا الروضُ بهجَةُ الروح طيباً \*\*\* وظلالاً، وفتنةُ العينِ حُسناً  
 وكأنَّ الغديرَ بين ضلالٍ \*\*\* وهُدًى كَلِّما استوى أو تنثَّى  
 تتحني فوقه كرائمُ ذاك الدُّوحِ، منها الجَنَى، وكم يتجنَّى.  
 مطمئنُّ يسيرُ تَيْهاً، فإنْ رامَ عناقَ الصخورِ صدَّتْ فُجْناً  
 هكذا يصبحُ الحبيبُ المَعْنَى \*\*\* بعد حينٍ وَهُوَ المَحِبُّ المَعْنَى<sup>2</sup>

وبما أن إبراهيم طوقان حدد لنا رموزه الطبيعية لهذه الحكاية الرمزية، وشرح لنا

ما تعنيه شخصياتها الرمزية فلم يبق لنا إلا تقصي دلالاتها الأصلية - في المعاجم اللغوية -

\* - نوع من الاستعارة الرمزية "Alieqory" التي تؤخذ فيها الطيور والحيوانات والنباتات رموزاً لشخصيات إنسانية أو وسيلة لتقرير الأفكار والمعاني الخلقية والاجتماعية.

<sup>1</sup> - محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان (حياته ودراسة فنية في شعره)، م جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، د ط، د ب، 2002، ص. 157.

<sup>2</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1993، ص. 204.

ومدى ملاءمتها للمرموز إليه، ومن ثمة تبين أبعاد حكايته الرمزية -مصرع بلبل-، فـ"البلبل" في دلالاته الأصلية هو "طائر صغير يضرب به المثل في حسن الصوت"،<sup>1</sup> فالشاعر هنا احتفظ بدلالة البلبل الأصلية، وأخذ يصف حالة ذلك البلبل عندما آوى إلى روضة لم يعرفها من قبل فأعجبته وفتن بما فيها من رغد العيش، فالظاهر أن شاعرنا يصف منظرا طبيعيا يصور فيه ذلك البلبل في روضه، ولكن هناك معنى باطني غير ظاهر قصده الشاعر، فهو لا يقصد البلبل بذاته، بل استعاره من الطبيعة ورمز به إلى شخصية شاب قروي نرح إلى المدينة الكبيرة. أما الرمز الطبيعي الثاني "الروض" ففي دلالاته الأصلية هو "أرض ذات خضرة وماء، وكل مكان تتوفر فيه الراحة النفسية"،<sup>2</sup> فالشاعر هنا أبقى على الدلالة الأصلية للروض، وقام باستعارته ليرمز به إلى الحانات والملاهي التي شاعت في أحياء المدينة، فكما فتن البلبل بالروض المخضر الزاهي الألوان وطيب الروائح، فكذلك الشاب القروي المخدوع فتن بزخرف ولهو وألوان العبت في تلك الملاهي، وهنا تظهر براعة الشاعر في اختيار الرموز الطبيعية الملائمة لشخصياته الرمزية، ونرى أنه قد أصاب في ذلك لإحساسه المرهف وقربه من الطبيعة "وتجاوبت أصداء الرومانسية في شعر إبراهيم طوقان ولا سيما في قصيدته مصرع بلبل، التي تأثر فيها بقصيدة العنديلين والوردة لأوسكار وايلد".<sup>3</sup>

وقد وظف شاعرنا في الأبيات السابقة أيضا، رموز طبيعية أخرى مثل "الغدير"، والذي يعني في دلالاته الأصلية "القطعة من الماء، والنهر الصغير"،<sup>4</sup> أما "الدوح" فدلالاته الأصلية هي "الشجر العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة"،<sup>5</sup> وكلها دلالات غنية بالمعاني النفسية رمز بها إلى مظاهر التنوع من المتاع والجمال الأخاذ الذي يهز النفوس داخل ذلك

1 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر، 2004، ص. 68.

2 - مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط2، بيروت، لبنان، 2001، ص. 598.

3 - إبراهيم خليل، الشعر العربي الحديث، دار الميسرة، ط1، عمان، الأردن، 2003، ص. 196.

4 - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز (الميسر)، دار الكتاب الحديث، ط1، الكويت، 1993، ص. 375.

5 - المرجع نفسه، ص. 204.

الروض، وهذا الأخير هو الرمز الطبيعي الأساسي في هذه الحكاية الرمزية، ويدخل في بوتقته تلك الرموز الفرعية المذكورة سالفًا، وقد رمز الشاعر بالروض إلى ملاهي وحانات المدينة، وهي المرموز إليه لوجه الملاءمة من حيث التمتع والابتهاج بألوان العبت دون رقيب.

ثم ينتقل بنا المقام إلى أبيات أخرى للشاعر من نفس القصيدة، إذ يقول:

مضى البلبلُ الغريبُ يطوفُ الروضَ حتى انزوى مُحيًّا النهارِ  
 راح يأوي إلى الغصون، ولكنَّ \*\*\* كيف يغفو مُشرِّدُ الأفكار؟  
 كان في الروض فوق ما يتمنى \*\*\* من فنون الأثمار والأزهار  
 غيرَ أن ليس فيه طيرٌ يُغني \*\*\* أيُّ روضٍ يخلو بلا أطيَّار؟  
 أيُّ خطبٍ أصابكم معشرَ الطيرِ..؟ وماذا في الروض من أسرار؟  
 طلع الفجرُ باسمًا إثرَ ليلٍ \*\*\* دونه وحشةٌ كهوفُ المنية  
 تنتزى أشباحه صاحباتٍ \*\*\* عارياتٍ، أكفها، دمويَّه  
 ورُجومٌ تقري الغيومَ وتهوي \*\*\* كلُّ رَجَمٍ من الجحيمِ شظيَّه  
 وخُسوفٌ تحدَّتَ البدرُ فيه \*\*\* بغم الحوتِ مُنذرًا برزيَّه  
 ذاك ليلٌ قضى على البلبلِ المنكودِ، لولا يدٌ تصدَّتْ عليَّه  
 ملكةٌ عرشها المشارقُ والتَّاجُ سناها، أعظِمُ بها شرفيَّه  
 أنقذته فهبَّ يشدو شكورًا \*\*\* مرِحًا، هاتفًا لها بالتحية.<sup>1</sup>

وفي هذه الأبيات الشعرية تتجلى لنا رموز طبيعية أخرى فرعية استعان بها الشاعر وبدلالاتها العميقة لنقل معانيه وهي (الفجر، كهوف، الغيوم، الأقاح، البدر، الحوت، الليل، الشمس، النهار، الأزهار، الأطيَّار)، وتبدو هذه الرموز الطبيعية متنوعة منها الحياة التي تنبض بالحياة ومنها الجامدة، وهذا التنوع يخدم فكرة الشاعر، فدلالة رمز "الليل" الأصلية

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص. 204، 205.

هي "الوقت من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر"،<sup>1</sup> واستعار الشاعر هذه الدلالة لرمز الطبيعة الليل ليرمز بها إلى معاني الحزن والمرارة التي تتغلغل في داخل نفس ذلك الشاب، فيشعر بالضياع والشروء، أما رمز "الفجر" فدلالته الأصلية هي "ضوء الصباح وبعد الليل فجر"،<sup>2</sup> واستعار الشاعر دلالة هذا الرمز ليرمز به إلى بداية انزياح الهموم والأحزان من داخل نفس الشاب الذي رمز إليه برمز البلبل، ونأتي إلى رمز طبيعي آخر هو "النهار"، ودلالته الأصلية هي "بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس"،<sup>3</sup> واستعار الشاعر هذا الرمز الطبيعي وما توحى به دلالاته من معاني كالنور بعد ظلام الليل، ليبيث من خلاله جلاء هموم ذلك البلبل، والذي رمز به إلى الشاب القروي، فانتعشت نفسه وزال عنها الكدر، فابتهجت فرحة بالحياة، وأية مباحج زائفة ساقته إلى مشارف الهلاك حسب رؤية الشاعر. وللتعرف أيضا على دلالات الرمز الأساسي المتبقي في هذه القصيدة والذي كشف عنه الشاعر في مقدمته، فينجلي لنا ذلك في هذه الأبيات الشعرية، إذ يقول:

مليكة النيرات \*\*\* إلهة المشرقين  
الناس في الغابات \*\*\* إليك مدوا اليمين  
وأحرقوا في الصلاة \*\*\* نضارهم واللجين  
وقربوا الأعناق  
زُلفى تراق

يا ليل إن الصباح \*\*\* رمز حياة الورى  
أنفاسه في البطاح \*\*\* وروحُه في الذرى  
أما رأيت الأفاح \*\*\* أفاق بعد الكرى<sup>4</sup>

1 - مجموعة من المؤلفين، مجاني الطلاب، دار المجاني، ط5، بيروت، 2001، ص. 891.

2 - المرجع نفسه، ص. 718.

3 - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز (الميسر)، ص. 1008.

4 - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 204.

وضوَع الآفاقُ

لما أفاقُ

وأيضاً للتعرف على دلالات الرمز الأساسي المنتقي

نسي الطيرُ همَّه حين غنى \*\*\* قلَّما يستقرُّ همُّ الطروبِ

ألف الروضَ مُفرداً وتولَّى \*\*\* عنه في دوحه شعورُ الغريبِ

مُسْتَقِلُّ في المُلْكِ، لا من شريكٍ \*\*\* طامعٍ يُتَّقَى، ولا من رقيبِ

وإذا «وردة» تفيضُ جمالاً \*\*\* تتهادى مع النسيمِ اللعوبِ

قد حمتها أشواكها مُشرَعاتٍ \*\*\* حولها دون عابثٍ أو غصوبِ

تمنح العينَ حين تبدو وتخفي \*\*\* من ضروب الإغراء كلَّ عجيب<sup>1</sup>.

ويبقى رمز البلبل -الشاب القروي- نقطة البدء في هذه الحكاية الرمزية، والحاضر

في كل مشهد منها، وإلى جانب هذا الحضور، نجد الرمز الطبيعي "الوردة"، وهي تعني

في دلالتها الأصلية "شجر شاك، زهر أحمر وأبيض وأصفر ورائحة عطرية"<sup>2</sup>، وقد وظف

الشاعر رمز الوردة الحمراء بدلالاتها الملائمة لفكرة الشاعر، فصفات هذه الوردة الجميلة

التي تتهادى مع "النسيم" ويعني في دلالاته الأصلية "الريح اللينة"<sup>3</sup> اللعوب، والتي تخفي من

ضروب الإغراء كل عجيب، خاصة عندما اختار الشاعر اللون الأحمر لها دون غيره من

الألوان لما يحمله من دلالات الجاذبية والإثارة، فهي مشابهة لصفات المرأة اللعوب،

فالوردة والنسيم والتهادي واللعوب وحماية الأشواك المشرعات ذات قيمة مجازية.

ومن خلال الأبيات الموالية للشاعر، يظهر فيها انجذاب البلبل وتعلقه بتلك الوردة

اللعوب، ورمز بهذا المشهد الطبيعي إلى ذلك الشاب القروي الذي سهل انخداعه بإغواءات

بأثعات العبث واللهو، إذ يقول الشاعر:

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص. 205-206.

<sup>2</sup> - بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان ناشرون، د ط، بيروت، لبنان، 1998، ص.965.

<sup>3</sup> - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز (الميسر)، ص. 505.

صارت الوردةُ الخليفة للبلبلِ همًّا ومأرباً يُشقيه

حسرتا للغرير أصبح كَرَباً \*\*\* ما يلاقيه من دلالٍ وتيه

من رآها وقد تحاملَ يهفو \*\*\* نحوها، كيف أعرضتُ تغريه

من رأى روحه تسيل نشيداً \*\*\* لاهباً، لوعةُ الأسي تُذكيه.<sup>1</sup>

ثم يورد الشاعر أبياتاً شعرية يظهر فيها رمز البلبل وكأنه شاعر ينشد أشعاراً،

وربما هنا جعل إبراهيم طوقان البلبل المغرد رمزاً له، إذ يقول الشاعر:

أنشدي يا صبا \*\*\* وارقصي يا غصون

واسقني يا ندى \*\*\* بين لحظ العيون

فيك يا وردتي \*\*\* قد حلا لي الجنون

أنا مني الهوى \*\*\* أنت منك الفتون.

انشري ما طوت \*\*\* من غرامي السنون

كان في أضلعي \*\*\* فروته الجفون

أقربي من فمي \*\*\* فحديثي شجون..<sup>2</sup>

ثم ننتقل إلى أبيات أخرى من هذه القصيدة، وقد جاءت على شكل تساؤل، كان

غرض الشاعر فيها إظهار مدى غفلة ذلك البلبل وسهولة انخداعه لإغراءات تلك الوردة

الحمراء، إذ يقول:

هل يرى في ظلال وردته الحمراء سرا بدا وكان خفياً

هل يرى للطيور فيها قلوباً \*\*\* نبذتهن يابسا وجنيا

هل يرى اليوم ما الذي جعل الروض كثيباً من الطيور خلياً

كم نذير بدا لعينيه حتى \*\*\* قام شخص الردى هناك سوياً.

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 206.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص. 207.

سامه حُبُّه شقاءً ولكنَّ \*\*\* نعمةُ الحبِّ أنْ يكونَ شقيًّا

والهوى يطمس العيونَ ويُلقِي \*\*\* في قرارِ الأسماعِ منه دويًّا

هكذا يسلكُ المحبُّ طريقَ الخوفِ أمنيًّا ويحسبُ الرشدَ غيًّا<sup>1</sup>

وتضمنت هذه الأبيات رمزا طبيعيا آخر وهو "الطيور"، وقد استعاره الشاعر ليرمز به إلى جملة الشباب المخدوعين المنساقين وراء ملذات المدينة الكبيرة وألوان العبث فيها دون وعي وتفكر في عواقب الأمور. وكان هذا باطن تلك الأبيات حسب فكرة الشاعر، وظاهرها مشهد طبيعي لببلل يتمتع بجمال تلك الوردة الحمراء، وهو يصول ويجول في روض خال من الأطيوار، دون أن يثير ذلك انتباهه وتساؤله.

ثم تنتقل إلى الأبيات الأخيرة لهذه الحكاية الرمزية، ونطلع على نهاية حكاية هذا الببلل مع تلك الوردة الحمراء، ولنرى براعة الشاعر إبراهيم طوقان في نسج صورة رامزة ظاهرها يوحي بصورة من الطبيعة، وباطنها مغزى يريده الشاعر، إذ يقول في أبياته الشعرية التالية:

ضمَّها الطيرُ مُطبِقاً بجناحيه، وهمَّتْ بثغره شفتاها

لم يُمتعَ بنشوة الحبِّ حتى \*\*\* أشرعتُ شوكةً تلظِّي شباها

أوردتها قلباً، إذا رفَّ يوماً \*\*\* خافقاً للهوى فذاك هواها

كرعتُ في الدم البريء فلما \*\*\* عكسته وهاجةً وجنتاها.<sup>2</sup>

عبر لنا الشاعر في هذه الأبيات مبرزا النهاية المأساوية التي طالت ذلك الببلل، وما جنى عليه تعلقه وانسياقه وراء فتنة تلك الوردة في ذلك الروض الذي تتعم فيه بألوان المباهج، ولا بد من الإشارة إلى أن أوصاف الشخصيات الرمزية في مثل هذا النوع من الحكايات هي طريقا وسطا بين المرموز والمرموز إليه، فكانت صفات الببلل هي صفات الشاب القروي السهل الانخداع في تطلعه لمتع المدينة، ومن خلال ذلك تكون نهاية الببلل

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص. 206، 207.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص. 207.

المأساوية هي نفسها نهاية ذلك الشاب القروي المخدوع - المرموز إليه - والجلاد كان الوردة الحمراء ذات الأشواك الحادة التي رمز بها إلى المرأة اللعوب العابثة. وكانت نهاية البلبل بموته حينما اقترب من الوردة وضمها بجناحيه فأوردته شوكة حادة أنزفت قلبه دما، وهي توردت وجنتاها عافية. فإذا كانت هذه هي نهاية المرموز به - البلبل - فنهاية المرموز إليه - الشاب - هي ولا شك نهاية كل شاب إنساق وراء الحياة الصاخبة في المدينة وانغماسه في ألوان عبثها، وفي غفلة منه تكشر له الحياة عن أنيابها فتكون خسارته في أحد الأمور الثلاثة؛ إما المال، أو الصحة، أو المستقبل، أو في جميعها وهي الفاجعة والخسارة الأكبر.

وبذلك أنهى الشاعر إبراهيم طوقان حكايته الرمزية في قصيدة "مصرع البلبل" مع انتهاء حياة بلبله، كما دل على ذلك عنوان القصيدة الذي جاء مناسباً لمضمون الحكاية الرمزية وملخصاً لها. ثم بعد ذلك قام الشاعر بكشف المغزى العام من هذه الحكاية الرمزية في البيت الشعري الأخير لها إذ يقول:

وردةٌ تبهرُ العيونَ ولكنَّ \*\*\* كثرةُ الشمِّ قد أضاعتْ شذاها<sup>1</sup>

وبما أن شاعرنا كشف عن رموزه الطبيعية وإلى ما ترمز إليه في مقدمة له مهد بها لقصيدته، فقد كشف عن دلالات حكايته الرمزية والقصد منها في آخر بيت للقصيدة. وبذلك اتضح لنا الهدف الحقيقي لشاعرنا من توظيفه للرموز الطبيعية وذلك باتخاذها كوسيلة لتبليغ فكرته وليس توظيفها لذاتها أو لغرض فني، ومن خلال تحليل وشرح دلالات قصيدة "مصرع بلبل" لإبراهيم طوقان تبين أنها ذات بعد اجتماعي صورت مشهداً من الواقع الاجتماعي داخل المدن الكبرى وعالج فيها ظاهرة متعلقة بفئة الشباب من جهة الأخلاق، فكان غرض الشاعر من هذه "الحكاية الرمزية" الموعظة وأخذ العبرة.

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 208.

وينتقل بنا المقام إلى قصيدة أخرى لشاعرنا إبراهيم طوقان وهي إحدى قصائده المشهورة، وجاءت في مقدمة ديوانه، وقبل التطرق للتعريف بهذه القصيدة، نذكر أن الرمز الطبيعي الذي ورد فيها يختلف عن سابقه، حيث صيغ برمزية مجازية بمعنى "المعنى الحقيقي ما استعمل فيه اللفظ الموضوع للمعنى أصلاً، أما المجازي فهو ما استعملت فيه الألفاظ لغير ما وضعت له أصلاً، على سبيل العمد أو الخطأ، وإنما تستعمل تجوزاً لتحقيق غاية أدبية مع إيراد قرينة مانعة للمعنى الحقيقي ومما يشملها الاستعارة والتشبيه... الخ"<sup>1</sup> وفي كل الأحوال وظف الرمز الطبيعي كأداة للتعبير عن فكرته ورؤيته في أي صورة رمزية كانت (استعارة أو تشبيه، أو كناية)، وقصيدته المشار إليها سابقاً والمعنية بالدراسة هي "ملائكة الرحمة"، وقد لاقت نجاحاً باهراً، وعدت فتحة جديداً لشاعر من شعراء العربية، وتركت هذه القصيدة أثراً بارزاً في نفسه، حيث نظمها أثناء مرضه، واستوحى فكرتها من رأى الممرضات بزيهن الأبيض الناصع، والذي ذكره بالحمام الذي أحبه في طفولته، وكان مسحوراً بسجعه، ومن ثمة نرج إلى أبيات من هذه القصيدة - ملائكة الرحمة - لنتبين الرموز الطبيعية الموظفة فيها وللتعرف على دلالاتها، يقول الشاعر:

بيضُ الحَمَائِمِ حَسْبُهُنَّ \* \* \* أَنِّي أُرَدِّدُ سَجْعَهُنَّ.\*

رمز السلامة والوداعة منذ بدء الخلق هنه

في كُلِّ رَوْضٍ فَوْقَ دَانِيَةِ الْقُطُوفِ لَهِنَّ أَنَّهُ

ويملن والأغصان ما \* \* \* خطر النسيم بروضهنه

فَإِذَا صَلَّاهُنَّ الْهَجِيرُ هَبَّيْنِ نَحْوَ غَدِيرِ هَنَّةَ

يَهْبِطْنَ بَعْدَ الْحَوْمِ مِثْلَ الْوَحْيِ لَا تَدْرِي بِهِنَّ

<sup>1</sup> - ضيف الجيلاني، موسوعة البلاغة العربية الميسرة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص.108.

\* - سجعهن: الحمامة هدرت ورددت صوتها فهي (ساجعة وسجوع).

فَإِذَا وَقَعْنَ عَلَى الْغَدِيرِ تَرْتَبَّتْ أَسْرَابُهُنَّ  
صَفِينِ طُولِ الضَّفَّتَيْنِ تَعَرَّجًا بُوْقُوفِهِنَّ  
كُلُّ تَقَبُّلٍ رَسَمَهَا \*\*\* فِي الْمَاءِ سَاعَةَ شُرْبِهِنَّ  
يُطْفِنَنَّ حَرَّ جُسُومِهِنَّ بِغَمْسِهِنَّ صُدُورَهُنَّ  
يَقَعُ الرَّشَاشُ إِذَا انْتَفَضْنَ لِأَلْنَا لِرُؤُوسِهِنَّ  
وَيَطْرُنَ بَعْدَ الْإِبْتِرَادِ إِلَى الْغُصُونِ مُهُودِهِنَّ  
تُنْبِيكَ أَجْنَحَةً تُصَفِّقُ كَيْفَ كَانَ سُورُهُنَّ  
وَيُقَرُّ عَيْنَكَ عِبْتُهُنَّ إِذَا جَثَمْنَ ، بِرِيشِهِنَّ  
وَتَمِيلُ نَشْوَانًا - وَلَا خَمْرٌ - بَعَذِبِ هَدِيلِهِنَّ  
وَتَخَالُهِنَّ بَلَا رُؤُوسٍ حِينَ يُقْبَلُ لَيْلُهُنَّ  
أَخْفَيْنَهَا تَحْتَ الْجَنَاحِ وَيَمْنُ مِلءَ جُفُونِهِنَّ  
كَمْ هَجَنِي وَرَوَيْتُ عَنْهُنَّ الْهَدِيلَ ... فَدَيْتُهُنَّ!<sup>1</sup>

ظهرت في هذه الأبيات الشعرية عدة رموز طبيعية وكان أكثرها جذبا للاهتمام هو "بيض الحمام" أو الحمام الأبيض اللون، وهذا الرمز يعني في دلالاته الأصلية "الحمام جمع حمام جنس طير أليف ذو طوق، له هديل"<sup>2</sup>، وقد ذكر الشاعر بأنه رمز للسلامة والوداعة، وهذا تمهيد لما سيرمز إليه لاحقا، وجاءت رموز طبيعية أخرى إلى جانب هذا الرمز وهي مكررة في شهره فنجد (الروض، دانية القطوف، النسيم، الغدير)، ونسج من خلالها مشهدا طبيعيا جميلا يصف فيه بيض الحمام بالإحسان يملؤه الصدق، وبعد التطرق لصفات المرموز به في هذه الأبيات نتطلع إلى باقي أبيات القصيدة لنكتشف المرموز إليه وصفاته، ووجه الملاءمة بينهما، وغرض الشاعر من كل ذلك، يقول الشاعر:

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص. 49، 50.  
<sup>2</sup> - مجموعة من المؤلفين، مجاني الطلاب، دار المجاني، ط5، بيروت، 2001، ص. 231.

المُحْسِنَاتُ إِلَى الْمَرِيضِ غَدَوْنَ أَشْبَاهًا لَهْنَةً  
 الرُّوضُ كَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ \*\*\* دَوَاؤُهَا إِنْ سَاهَنَتْ  
 مَا الْكَهْرَبَاءُ وَطِيَّهَا \*\*\* بِأَجَلٍّ مِنْ نَظَرَاتِهَا  
 يَشْفِي الْعَالِيلَ عَنَاؤُهُنَّ \*\*\* وَعَطْفُهُنَّ وَلُطْفُهُنَّ  
 مُرُّ الدَّوَاءِ بِفِيكَ حُلُوٌّ \*\*\* مِنْ عُدُوبَةِ نُطْقِهَا<sup>1</sup>

ومن خلال هذه الأبيات نتعرف على المرموز إليه وهي "الممرضات" حيث أشار إليهن بصفة الإحسان وهي بمعنى الرفق والاهتمام وتقديم العون، ويمكننا القول إذن أن الشاعر استعار من الطبيعة رمز الحمام ورمز به إلى الممرضات (ملائكة الرحمة)، حيث استعار الشبه الحسي اللوني المشترك، وهو البياض، فالحمام جاء لونه أبيضاً، وكذا الممرضات يرتدين مآزر بيضاء اللون، ومن ثمة حدث الفصل بين جزئي القصيدة الحمام بعده مرموزاً به والممرضات بعدهن مرموز إليهن، لأن الشاعر وهو يصف حمائم أخلص وصفه للحمائم فلم يضع في اعتباره أنه يصف (الحمامة، الممرضة) بحيث تقع كلماته بين طرفي التفاعل الرمزي، فتصيب في وصف الحمائم كما تتفق ووصف الممرضات.

كما استعار الشاعر الرمز الطبيعي "الروض" ورمز به إلى المستشفيات، فكما كانت تلك الحمائم تجوب الروض وهي تنتشر فيه السلامة والوداعة، فكذلك الممرضات يحملن رسالة الرحمة بوداعتهم ولطفهم، وهن يطفن كرسل للرحمة في ذلك المستشفى بين المرضى، وبذلك يتجلى وجه الملاءمة بين المرموز به "الروض" والمرموز إليه "المستشفى". إضافة إلى أن الحمام بطبيعته وتكوينه وإيحائه أنثوي واختاره الشاعر من هذه الزاوية، فاختار ما ينطبق عليه، ثم يصل بنا المقام إلى الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة، يقول الشاعر:

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 50.

مَهْلًا فَعَنْدِي فَارِقٌ \*\*\* بَيْنَ الْحَمَامِ وَبَيْنَهُنَّ  
فَلَرُبَّمَا انْقَطَعَ الْحَمَائِمُ فِي الدُّجَى عَنْ شَدْوِ هِنِّه  
أَمَّا جَمِيلُ الْمُحْسِنَاتِ فِي النَّهَارِ وَفِي الدَّجْنِهِ<sup>1</sup>.

بعد أن تبين لنا وجه الملائمة بين المرموز به "بيض الحمام" والمرموز إليه "المرضعات" (أو ملائكة الرحمة)، يتم التطرق من ثمة إلى الفروق بينهما، فيبدو أن المرضعات يتفوقن على بيض الحمام، فهذه الأخيرة تطوف وتشدو في الروض نهاراً فقط، أما المرضعات فتوافهن في المستشفيات نهاراً ويستمر ليلاً ساهرات على راحة المرضى بالعناية والإحسان.

هذه القصيدة "ملائكة الرحمة" ذات بعد اجتماعي وكان غرض شاعرنا إبراهيم طوقان من نظمها التنويه بالمرضعات وما لدورهن من عمل إنساني واجتماعي، ونلاحظ صدق شعوره -إبراهيم طوقان- النابع من تجربته مع عمل الممرضة التي كانت تخفف آلامه وتقدم له العلاج، (ونحن نعلم أن مرضه صاحبه طوال حياته).

وللشاعر إبراهيم طوقان قصيدة أخرى في الشعر الاجتماعي، والمعنونة بـ"الحبشي الذبيح"، وهذا العنوان اختزال لمضمون المتن الشعري، ويحمل دلالات معينة قصد إليها الشاعر، وإذا تأملنا العنوان يتبين لنا أنه مستمد من الطبيعة، ومن أحد عناصرها الحية، ولجلاء الأمر واتضح المستور نتطلع إلى الأبيات التالية:

رَقَتْ لَهُ مَسْنُونَةٌ تَتَلَهَّبُ \*\*\* أَمْضَى مِنَ الْقَدْرِ الْمَتَّاحِ وَأَغْلَبُ  
حَزَّتْ فَلَا خُدُّ الْحَدِيدِ مُخَضَّبُ \*\*\* بَدْمٍ وَلَا نَحْرُ الذَّبِيحِ مُخَضَّبُ  
وَجَرَى يَصِيحُ مُصَفَّقًا حِينًا فَلَا \*\*\* بَصْرٌ يَزْوُغُ وَلَا خَطِيٌّ تَتَنَكَّبُ

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 50.

حتى غَلَّتْ بي ربيَّةٌ فسألْتُهُم : \*\*\* خانَ السَّلاحُ أمَ المنِيَّةُ تَكذبُ ؟  
قالوا حلاوةً روحه رقصتْ بهِ \*\*\* فأجبتُهُم ما كلُّ رقصٍ يُطربُ.<sup>1</sup>

من خلال تصفحنا لهذه الأبيات الشعرية ينكشف لنا الرمز الطبيعي وهو "الديك الحبشي"، ويعتبر هذا الأخير الرمز الطبيعي الوحيد في هذه القصيدة؛ بمعنى هو الرمز الأساسي الذي ارتكز عليه الشاعر كمطية لأغراضه، والدلالة الأصلية لهذا الرمز هي "الحبشي المنسوب إلى الحبشة"<sup>2</sup>، وربما نتساءل لماذا اختار شاعرنا "الديك الحبشي"؟، هذا الطير بالذات دون غيره من الطيور ليقوم بوصفه، وأي وصف، كان مشهدا مأساويا شد انتباه شاعرنا وتأثر به، حيث شاهد ديك حبشي يذبح بسكين صاحبه الإنسان في مناسبة عيد رأس السنة الميلادية، التي يحتفل بها المسيحيون فصور شاعرنا منظر ذبح ذلك الديك الحبشي وهو يهتز من الألم، تصويرا مؤثرا نابعا من رهافة حس شاعرنا ومن تعاطفه مع هذا الطير الضعيف، والذي زاد من ألم شاعرنا هو وصف غيره للديك الحبشي، يجري ويصيح من الألم، بأنه يرقص طربا، وهنا ينقلب الوصف في نفس شاعرنا وينتقل من المرموز به "الديك الحبشي" إلى المرموز إليه وهو الإنسان الضعيف المغلوب على أمره، والذي يتعرض لتسلط الإنسان القوي بشتى أنواع الظلم والابتزاز.

ويواصل شاعرنا في وصف مشهد ذلك الحبشي الذبيح، قائلا:

هيهاتَ، دونكهُ قضى، فإذا بهِ \*\*\* صعقٌ يُشرقُ تارةً ويُغربُ  
وإذا بهِ يزورُ مختلفَ الخطى \*\*\* وزكيَّةٌ موتورةٌ تتصبَّبُ  
يعدو فيجذبُهُ العياءُ فيرتمي \*\*\* ويكادُ يظفرُ بالحياة فتهربُ.<sup>3</sup>

وشاعرنا هنا في وصفه، يبرز صورا متعددة لأشكال شتى من الألم، فيعدو تارة متمسكا بالحياة، ويسكن تارة أخرى مستسلما للموت، وكلها صورا يرمز بها شاعرنا لحياة

1 - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 150.

2 - عبد الله البستاني، الوافي (معجم وسيط للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1990، ص. 113.

3 - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 151.

كل إنسان ضعيف في مجتمع يحكمه الأقوياء المستبدين -مثل دول العالم فيها أمم ضعيفة وأخرى قوية- فمرة يسعى الضعيف ليظفر بحقوقه، ومرة أخرى يستسلم لحكم القوي، وهنا نرى كيف أن شاعرنا استطاع، أن يربط بين دلالة رمزه الطبيعي "الحبشي الذبيح"، وبين دلالة مشهد إنساني واجتماعي واقعي معاش يوميا، ونتطلع إلى ما تبقى من متن القصيدة إذ يقول شاعرنا:

أعذابه يُدعى حلاوة روحه ؟ \*\*\* كم منطِق فيه الحقيقة تُقَابُ  
 إنَّ الحلاوة في فم مُتَلَسِّطٍ \*\*\* شَرَّهَا لِيَشْرَبَ ما الضحيَّةُ تُسْكَبُ  
 هي فرحة العيد التي قامت على \*\*\* ألم الحياة، وكلُّ عيدٍ طَيِّبٌ.<sup>1</sup>

ويستمر شاعرنا في وصفه، مصورا اللحظات الأخيرة للحبشي الذبيح رابطا إياها بما يجول في فكره من معاني، وفي هذه الأبيات بين لنا الشاعر ذلك التناقض الحاصل، فكيف تقلب الحقائق وبأي منطق، فيصبح ألم ذلك الحبشي الذبيح رقص وطرب في نظر البعض من الناس، وكذلك ينظر إلى ألم الإنسان الضعيف بسخرية، فلا يلقي لعذابه اهتمام، ثم يصل بنا المقام إلى مدلولات البيت الأخير من هذا المتن الشعري، حيث تستقر فيه انفعالات شاعرنا، وعاطفته الجياشة تجاه ذلك الحبشي الذبيح، فيستسلم إلى الأمر الواقع والقدر المحتوم، فهي سنة الحياة أن يتألم ذلك الحبشي الذبيح لتقام ولأئم الأفراح بالعيد، وفي مقابل هذه الصورة يرضخ شاعرنا لحياة الواقع في المجتمعات الإنسانية، فكما وجد الجمال والقبح، وجد الضعيف والقوي، ولكن شاعرنا يطمح وينادي بتحقيق العدالة في المجتمعات الإنسانية، ومضمون الكثير من قصائده الشعرية خير دليل على ذلك مثل هذه القصيدة التي تعرضنا لها بالدراسة.

فقصيدة "الحبشي الذبيح" تنتمي إلى الشعر الاجتماعي، ووظف إبراهيم طوقان رمز الطبيعة "الديك الحبشي" مطية لغرض اجتماعي، وهو لفت الانتباه إلى فئة المستضعفين

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 151.

من أبناء المجتمع، والدعوة للاهتمام بهم، كما أراد التنبية إلى ضرورة احترام الآخرين في مشاعرهم وعدم السخرية منهم والفرح أثناء حزنهم، مع إقرار شاعرنا أن في حياة الواقع يوجد الكثير من حالات التناقض، ويقر بأنها سنة الحياة ولا مفر منها.

وقد استطاع شاعرنا إبراهيم طوقان أن يستقي من مشهد واقعي في الحياة مس عنصر من الطبيعة، فيصوره في شكل فني بغرض نقل ما قصده من أفكار تخص بعدا اجتماعيا، واستطاع كذلك أن يبرز وجه المناسبة بين الرموز والمرموز إليه وهو حالة المستضعفين ومرارة معاناتهم وصراع الموت والحياة.

ونعرج على قصيدة أخرى ذات بعد اجتماعي أيضا وهي قصيدة بعنوان "تقاؤل وأمل"، وقد قمنا بانتقاء بعض الأبيات الشعرية منها محاولين الكشف عن بعض الرموز الطبيعية، التي وظفها إبراهيم طوقان لإيصال مقاصده، إذ يقول:

أَفْنَيْتَ يَا مَسْكِينُ عُمَرَكَ بِالتَّأْوِهِ وَالْحَزْنَ  
 وَقَعَدْتَ مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ تَقُولُ: حَارِبُنِي الزَّمَنُ  
 مَا لَمْ تَقُمْ بِالْعَبِيِّ أَنْتَ، فَمَنْ يَقُومُ بِهِ إِذْنُ؟  
 كَمْ قَلْتَ "أَمْرَاضَ الْبِلَادِ"؛ وَأَنْتَ مِنْ أَمْرَاضِهَا  
 وَالشُّؤْمَ عَلَتْهَا: فَهَلْ فَتَشْتِ عَنْ أَعْرَاضِهَا

\* \* \*

أَضْحَى التَّشَاؤُمُ فِي حَدِيثِكَ بِالْغَرِيزَةِ وَالسَّلِيْقَةِ  
 مِثْلَ الْغَرَابِ نَعَى الدِّيَارِ وَأَسْمَعَ الدُّنْيَا نَعِيْقَةَ.  
 أَمَلٌ يَلُوحُ بِرَيْقِهِ \* \* \* فَاسْتَهْدِ يَا هَذَا بِرَيْقِهِ<sup>1</sup>

\* \* \*

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 89-90.

حيّ الشبابَ وقلّ سلاماً إنكم أملُ الغدِ  
صَحَّتْ عزائمكمُ \*\*\* على دَفْعِ الأثيمِ المعتدي  
واللهُ مدّ لكمُ يداً \*\*\* تعلو على أقوى يدِ  
وطني أزفُ لكَ الشبابِ \*\*\* كأنهُ الزَّهرُ النّدي  
لا بُدَّ من ثمرٍ له \*\*\* يوماً وإن لم يعقدِ  
ريحانهُ العِلمُ الصّحيحُ وروحه الخلقُ الحسنُ.<sup>1</sup>

من خلال تصفحنا لهذه الأبيات الشعرية، اتضح لنا أن شاعرنا وظف بعض الرموز الطبيعية وهي (الغراب، الزهر، الثمر، الريحان)، وكل منها كان له دلالاته الخاصة، سواء الدلالة الأصلية، أو الدلالة التي أراد الشاعر أن يبنيها من خلال هذه الرموز، وقبل تناولنا هذه الرموز بالدراسة، ومن خلال قراءتنا للأبيات جميعها، تبين لنا أن شاعرنا يوجه خطاباً معيناً، في البداية إلى ضمير المخاطب بصيغة المفرد "أنت"، ثم إلى ضمير المخاطب بصيغة الجمع "أنتم"، واتضح لنا أن المعنى بهذا الخطاب هو أحد فئات المجتمع وهم "الشباب"، وفحوى الخطاب الموجه لهم، في البداية هو توجيه العتاب إلى الشباب، الذي لا يكف عن الشكوى والتذمر والتعبير عن حزنه دون أن يحرك ساكناً، ويواصل شاعرنا في مخاطبة الشباب بأنه هو المسؤول عن بناء وطنه وخدمة مجتمعه لا غير، ويستمر شاعرنا في توجيه خطابه للشباب، أن تقاعسه هذا هو أحد الأمراض التي تتخرج جسد وطنه، ويزيد على هذا التخاذل مرض التشاؤم، فيقوم شاعرنا بمحاولة شحن همة الشاب، ومن هنا يتجلى لنا أول العناصر الطبيعية توظيفاً وهو "الغراب" المعروف عنه أنه طائر أسود اللون وصوته هو النعيق. ودلالاته الشائعة عند معظم الشعراء هي الحزن والتشاؤم، وإبراهيم طوقان انتقى هذا الرمز لمناسبته للمرموز إليه وهو الشاب المتشائم، وأن حديثه الذي تعلوه نبرات الحزن والشكوى تشبه نعيق الغراب على الأطلال الخربة،

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص. 91-92.

وهذه حقيقة أراد شاعرنا أن يبيتها من خلال هذه الصورة الرمزية المؤثرة، لعل الشاب يصحو من غفوته ويشفى من تشاؤمه، ويواصل شاعرنا توجيه خطابه لكن هذه المرة الخطاب موجه لجميع الشباب، حيث دعى الشاعر قبل ذلك إلى توجيه التحية لهم، وبعدها يخاطبهم بأنهم أمل هذه البلاد -فلسطين- وغدها المشرق، وهم اليد الباطشة بعدوها -اليهود- والمدافعة عن وطنها بعون الله وحفظه. وبعد توجيه الشاعر الخطاب للشباب هاهو يوجه خطابه للوطن مبشرا إياه بهذا الشباب، وقد وصفه الشاعر بصفات مؤثرة استعارها من الطبيعة، وهذه الرموز هي "الزهر" و"الثمر"، ولتبيان وجه المناسبة بينهما ومقصود الشاعر، ننظر الدلالة الأصلية، فالزهر هو "تور النبات والشجر"<sup>1</sup>، ودلالة الثمر معروفة، هي ما يخرج وينتج من تلك الأزهار من ثمار، وقد جعل شاعرنا منهما رمزا للشباب، الذي إذا وجد العناية الكافية منذ نشأته وربى على الأخلاق الفاضلة، وسلح بالعلم الغزير المتنوع الروافد، فإنه سيكون حتما شباب صالح نافع لنفسه ومجتمعه، وقد رمز شاعرنا إلى الشباب المسلح بالعلم، أي "بالريحان" والدلالة الأصلية لهذا الرمز الطبيعي هي "الريحان جنس من النبات طيب الرائحة"<sup>2</sup>، وجعل الأخلاق الحسنة بمثابة الروح للجسد، فبدونها يفنى. ويرى إذا شاعرنا أن الشباب الذي يحوز على هذه الصفات الجليلة القدر يكون مستقبل وطنه زاهرا ووافر البذل والعطاء.

وقد جاءت هذه القصيدة في الشعر الاجتماعي وتمس فئة الشباب، التي تحظى باهتمام واسع من الشاعر، واستعان شاعرنا ببعض الرموز من معجم الطبيعة، ليوصل غرضه بقدر كبير من التأثير، وكان هدفه هو إصلاح الشباب وإرشادهم لأنهم في نظره فجر وطنه وذخره.

ومن قصائده ذات النزعة القومية، نجد "ذكرى حمية أهل الشام"، وهي قصيدة طويلة اخترنا منها بعض الأبيات الشعرية، وقد استعان شاعرنا في نظمها بمعجم الطبيعة

<sup>1</sup> - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز (الميسر)، ص. 251.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص. 241.

وانتقى منه رموزاً موظفاً إياها في قصيدته، كمطية لغرضه رمزا لمعاني مختلفة، وهذا ما سنكتشفه من خلال مطالعتنا للأبيات الشعرية التالية:

هُوَ ذَا الْبَحْرِ مَزِيداً يَتَعَالَى \*\*\* إِثْرَ بَعْضِ أَمْوَاجِهِ تَتَوَالِي  
تَلَطَّمِ الصَّخْرِ كِبْرِيَاءً وَعَنْفًا \*\*\* ثُمَّ تَرْتَدُّ لِلْخَضَمِ خَذَالِي  
بِضَجِيجٍ كَأَنَّهُ زَجَلُ الرَّعْدِ وَرَجْفِ تَخَالِهِ زَلْزَالَا  
مَا وَنَتْ عَنِ جِهَادِهَا الدَّهْرَ لَكِنْ \*\*\* لَطْفِ الصُّبْحِ كَرَّهَا وَالنِّضَالَا  
وَهِيَ تَسْتَأْنِفُ الْجِهَادَ بَعَزْمٍ \*\*\* كُلُّ يَوْمٍ إِذَا النَّهَارُ تَعَالَى  
\*\*\*

عِنْدَ ذَلِكَ الْخَضَمِّ بَقْعَةَ أَرْضٍ \*\*\* قَدَّرَ اللَّهُ مَنَحَهَا إِسْتِقْلَالَا  
هِيَ حَدَّ السُّورِيَّتَيْنِ شَمَالاً \*\*\* وَجُنُوباً وَمَا تَتَوَّءَ مَجَالَا  
لَسْتُ تَلْقَى سُورِيَّتَيْنِ وَلَكِنْ \*\*\* قِيلَ هَذَا تَقْنَأً وَضَلَالَا  
يَبْتَغُونَ التَّفْرِيقَ فِي الْجَسَدِ الْوَا \*\*\* حُدَّ خَابَتْ تِلْكَ الشَّيَاطِينُ فَالَا  
عِنْدَ ذَلِكَ الْخَضَمِّ بَقْعَةَ أَرْضٍ \*\*\* حَرَسَ اللَّهُ سَهْلَهَا وَالْجِبَالَا.<sup>1</sup>

ويظهر لنا في هذه الأبيات رموزاً طبيعية عدة وهي (البحر، الصخر، الرعد، الزلزال، النهار)، وبتصفح هاته الرموز، نرى فيها ما هو مكرر التوظيف عند شاعرنا مثل (البحر، الرعد، الزلزال)، كما نجد ما هو جديد مثل (الصخر)، ومعظم هذه الرموز تحمل دلالات القوة وشدة البلاء، والترهيب، وبالنظر إلى عنوان القصيدة يتضح لنا أن شاعرنا جعل من تلك الرموز الطبيعية ودلالاتها رمزا إلى حمية أهل الشام، وتكاتفهم وتآزرهم ضد عدوهم الواحد -اليهود وأذيانهم-، الذين يطمعون بأرض الشام ويسعون إلى تقسيمها بعد الظفر بها، ولكن حسب رأي الشاعر هيات أن ينالوا ذلك، فصور لنا مشهدا

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 51.

طبيعياً رامزا إلى صراع محتدم في معركة النصر أو الهزيمة، حتى قدر الله النصر لبلاد الشام ومنحت استقلالها.

وقصيدة "ذكرى حمية أهل الشام" ذات بعد قومي، ووظف فيها إبراهيم طوقان عناصر الطبيعة كرموز، ليس لذاتها بل لبيث من خلالها غرضه، وهو الإشادة بالتكاتف العربي والالتفاف حول حقه المشروع في الحرية المسلوبة منه، ورفض تقسيم العدو لأراضيه، وجاءت هذه القصيدة في إطار الرمزية العامة، التي تعتمد على الصور المجازية.

وينتقل بنا الحال إلى إبداع آخر لشاعرنا في الشعر الوطني، وهي قصيدة "زيادة الطين ..!"، وتظهر فيها وطنيته من خلال تأثره بالمدن التي تصيب وطنه، وكذلك نغمته على اليهود المحتلين وما جلبوه معهم من بلاء، ولإيصال ما قصد إليه من نظم هذه القصيدة، استعان بمعجم الطبيعة، وانتقى منه ما يناسب تجربته الشعرية، وفيما يلي نعرض على أبياته الشعرية لاستخراج الرموز الطبيعية الموجودة فيها، وكشف دلالاتها إذ يقول شاعرنا:

حل الوبال بعبيل فمال به \*\*\* يا هيبية الله إبرا قاً وإرعادا

في جارف كعجيج البحر ظاغية \*\*\* أمواجه تحمل الأسواق امدادا

ولا تزال من الزلزال باقية \*\*\* تذكراها يوقد الأكباد إيقادا.<sup>1</sup>

ظهرت في هذه الأبيات الشعرية بعض الرموز الطبيعية وهي (البرق، الرعد، البحر، الزلزال)، أما دلالة "البرق" الأصلية هي "سحابة ذات برق ونور يلمع في السماء"،<sup>2</sup> ودلالة "الرعد" الأصلية هي "السحاب الكثير الرعد"،<sup>3</sup> وكلاهما يوحي بالرهبة والخوف من الله، وهما مرتبطان بنزول المطر الغزير، وقد استعارهما الشاعر ليرمز بهما إلى هول

1 - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 214.

2 - مجموعة من المؤلفين، مجاني الطلاب، ص. 61.

3 - المرجع نفسه، ص. 375.

الحدث، أما رمز "البحر" ودلالاته الأصلية "الماء الواسع الكثير"،<sup>1</sup> فقد وظفه الشاعر ليرمز به إلى قوة انهيار سيل الأمطار حتى بدت كالبحر الهائل بأواجه الطاغية، جالبة الهلاك للبلاد بأناسها، أما العنصر الآخر من الطبيعة فهو "الزلازل" ودلالاته الأصلية هي "الزلازل دماراً هائلاً وألوف الضحايا، هول وبلية وشدة"،<sup>2</sup> وقد وظفه الشاعر بالإضافة إلى العناصر الطبيعية الأخرى في صور مجازية رامزة توحى بشدة تأثر شاعرنا لمصاب وطنه، والملاحظ أن إبراهيم طوقان وظف عناصر الطبيعة للتعبير عن ما يجيش في نفسه باتجاهين مختلفين، ففي الأبيات السابقة كانت توحى بمشاعر الحسرة والتأثر لمصاب وطنه وأهله، أما الأبيات الموالية فتختلف فيها الوجهة، فتصبح مشاعر حقد وازدراء لليهود المحتلين وهذا ما يقوله الشاعر:

منذ احتلتم وشؤم العيش يرهقنا \*\*\* فقرا وجورا وإتاعسا وإفسادا

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتكم \*\*\* وكان وعدا تلقيناه إيعادا

واليوم من شؤمكم نبلى بكارثة \*\*\* هذا هو الطين والماء الذي زادا ..<sup>3</sup>

وظف الشاعر في هذه الأبيات الشعرية الرموز الطبيعية التالية (الطوفان، الطين، الماء)، أما عن الدلالة الأصلية للطوفان هي "الفيضان العظيم، ومن كل شيء ما كان كثيرا أو عظيما من الأشياء والحوادث"،<sup>4</sup> وقد استعاره الشاعر ليرمز به إلى هجرة اليهود إلى أرض فلسطين، فالمرموز به هو الرمز الطبيعي "الطوفان"، والمرموز إليه هو "اليهود"، ووجه المناسبة بين دلالتهما هو أن الهجرة المكثفة لليهود إلى فلسطين وما تجلبه من بلاء وفساد لشعب فلسطين تشبه تدفق سيل الماء الجارف وما يجلبه من بلاء ومحن، أما رمز "الطين" فدلالته الأصلية هي "الطين يحمله السيل ويستقر على الأرض رطبا أو يابسا"،<sup>5</sup>

1 - مجمع اللغة العربي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط4، القاهرة، 2004، ص. 40.

2 - مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية المعاصر، دار المشرق، ط2، بيروت، لبنان، 2001، ص. 618.

3 - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 214.

4 - مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز (الميسر)، ص. 337.

5 - المرجع نفسه، ص. 335.

وهي دلالة استعارها الشاعر ليرمز بها إلى التصاق اليهود بأرض فلسطين، وتشبثهم بها عنوة، فوجودهم كارثة حلت بفلسطين، كما وظف شاعرنا رمز "الماء" الذي يحمل مدلول الخير والحياة، أما شاعرنا في أبياته الشعرية رمز به إلى زيادة الهموم والأحزان ورأى الماء جارفاً ومحطماً.

وردت قصيدة "زيادة الطين .. !" في إطار الشعر الوطني، الذي زخر به شعر إبراهيم طوقان ودل على وطنيته الصادقة، وكان غرض الشاعر من هذه القصيدة إبداء تضامنه المطلق مع أبناء وطنه في كل مأساة ومعاناة له، وكذا تنديده بهجرة اليهود إلى فلسطين من أجل احتلالها واستيطانها.

ثم تنتقل إلى شعره الوجداني لنستقي منه بعض الأبيات الشعرية لقصيدة وظف فيها عناصر الطبيعة للتعبير عن تجربته الشعورية، وكمثال على ذلك قصيدة "مناجاة وردة"، إذ يقول:

جنى عليك الحسن يا وردتي \*\*\* وطيب رياك فذقت العذاب  
لولاهما لم تقطفي غضة \*\*\* بل لانطوى في الروض عنك الشباب  
لولاهما مرّ بك العاشقون  
لا ينظرون

وربما أعرض عنك الندى \*\*\* وجازك الطير فما غردا  
عرفت بالفضل وكم فاضل \*\*\* جنى عليه الفضل يا وردتي  
روضتك الغناء يا وردتي \*\*\* قد أنبتت من كل زوج بهيج  
تنفس الصبح بأزهارها \*\*\* عن ضاحك اللون زكي الأريج.  
نَسْرِينُهَا وَرَنْدُهَا وَالْأَفَاحُ  
كُلُّ مُبَاحٍ

تَنْقَلُ عَنْهَا نَسَمَاتُ الصَّبَا \*\*\* تحيةً لكلِّ قلبٍ صَبَا

وطوّفَ النَّاسُ بِأَرْجَائِهَا \*\*\* فوقفوا عندك يا وردتي  
 لله ما أصدقها حكمةً \*\*\* فاه بها المجهولُ في عهده  
 تشتاق أيارَ نفوسِ الورى \*\*\* وإنما الشوقُ إلى وردِهِ  
 تعزيةً أودعَ فيها الضَّيرِ  
 حُكْمَ البصيرِ

ألم يكنَ في قومِهِ كوكباً \*\*\* لاحَ ليمحو نورَهُ الغيها  
 فما لهم أَلْمَهُمُ فضلهُ \*\*\* حتى لقد آذوه يا وردتي  
 تحكُمُ النَّاسَ بمستضعفٍ \*\*\* سرُّ من الأسرار لا يدركُ  
 يا وردتي وربَّ سهلٍ بدا \*\*\* طريقه يُهلك مَنْ يسلكُ  
 هلُ حسبوا غضكَ لِمَا دنا  
 سهلَ الجنى؟<sup>1</sup>

وظف الشاعر في هذه الأبيات رموز طبيعية منها ما ذكر في نماذج سابقة للشاعر؛ أي مكررة ومنها ما هو جديد تناول، وأول هذه العناصر الطبيعية "الوردة"، وهي المرموز به، أما المرموز إليه فهي "فتاة" تعرف بها إبراهيم طوقان، أما وجه الملائمة بين المرموز به والرموز إليه (الوردة، الفتاة) كون الوردة تملك صفات الجمال الخارجي من لون زاهي وشكل جميل وعطر جذاب، وكذلك تلك الفتاة وصفت بالحسن والجمال الخارجي، والشاعر لم يصرح باسم تلك الفتاة مباشرة فرمز إليها بالوردة. أما "الروض" فرمز به إلى "المجتمع"، ووجه الملائمة بين المرموز به والرموز إليه أن الروض مكان وجود تلك الوردة، وهي جزء منه، فهي بحسنها وجمالها تجذب إليها الأنظار فيتعلق بها الندى وينشد لها الطير.

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ص. 138، 139.

أما الرموز الأخرى التي أشار إليها الشاعر رمز "الطير" على اختلاف أنواعه، وفي دلالاته الأصلية هو "الطير هادئون ساكنون، ليس فيهم طيش ولا خفة"<sup>1</sup>، ورمز به الشاعر إلى الشباب المعجب بالفتاة داخل ذلك المجتمع، كما وظف صنوفاً أخرى من الأزهار مثل (الرند والنسرين والآقاح)، ورمز بها الشاعر إلى الحياة المألوفة المستمرة بكل صنوف البشر داخل المجتمع، وجميعها يحيا ويتكلم ويمارس الحياة، ولكن وردة واحدة فقط حظيت بالاهتمام وهنا يقصد الشاعر تلك الفتاة التي كان يعرفها، ثم نأتي إلى ذكر البيتين الأخيرين لهذه القصيدة، إذ يقول الشاعر:

كَلَّا بَلِ النَّفْسُ الَّتِي تَضَعُفُ \*\*\* تَصْطَنَعُ البَأْسَ فَلَ تَعْرِفُ

والسرُّ في بطشِ الوريِّ خوفهمُ \*\*\* مِنْ هَذِهِ الأَشْوَاكِ يَا وَرِدَتِي.<sup>2</sup>

ومما يمكن أن يقال عن هذه القصيدة "مناجاة وردة" أنها ذات بعد وجداني، وغرض الشاعر منها بث حزنه وآلامه لفقد تلك الفتاة لأنها تزوجت غيره، فأخذ يرثى لحاله، وأخذ يلقي اللوم على صفة الجمال والحسن التي اتصفت بها تلك الفتاة، فجلبت لها التعاسة بزواج لم ترده، وبذلك فقدتها الشاعر. وإبراهيم طوقان أراد أيضاً أن يبرز صراع الفرد مع الجماعة، وقضية الوجود في مقابل العدم، وتجلي هذا في الأبيات الثلاثة الأولى للقصيدة، وقد كانت حياة شاعرنا مثالا لهذه الحيرة والقلق الوجودي.

ومن قصائد إبراهيم طوقان الوجدانية، نجد قصيدة بعنوان "عارضني نوحى بسجع"، حيث لجأ فيها شاعرنا إلى الطبيعة وانتقى منها ما يناسب تجربته الشعورية، إذ يقول في منته الشعري:

عصفتُ بالأمس رِيحٌ صرصرُ

فالتوى غُصْنُ شِبَابِي الأَخْضَرُ

ورأيت الزهرَ عنه يُنثرُ

1 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص. 574.

2 - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 139.

مثلما يُنثرَ دمعي

يا شبابي أنتَ أحرى بدمي

لا بدمعي أو شكايات فمي

خلّ عني... فصحابي لومّي

ملأوا باللوم سمعي

سئموا نوحى وعافوا منطقي

هم ذوو أفئدةٍ لم تخفق

أنا - إن يدروا - بحتفي ملتق

وغداً يهدأ روعي.<sup>1</sup>

وبقراءتنا لهذه الأبيات الشعرية، تعرفنا على الرموز الطبيعية التي وظفها شاعرنا وهي (الريح صرصر، غصن أخضر، الزهر)، وهي رموز متنوعة الدلالة، منها التي تحوي معنى القوة كالريح ومنها ما يحمل معنى الرقة والضعف كالزهر، وقد وجد شاعرنا في هذه الدلالات جواً مناسباً للتعبير من خلالها على وجدانياته بأثر أعمق، فجاءت هذه الرموز بدلالاتها رمزا لشباب شاعرنا حيث استعار من أحد عناصر الطبيعة "الشجرة" بعض من مكوناتها ليرمز بها وهي (الغصن الأخضر، الزهر)، واستطاع بذلك شاعرنا أن ينسج صورة رامزة يظهر فيها تفاعل الإنسان والطبيعة معا (الشباب/الغصن الأخضر)، وكذا (تتأثر الزهر/تتأثر الدموع)، ويظهر لنا أن شاعرنا يخاطب شبابه متحصرا عليه وعلى ما أصابه من حزن جراء ذلك الهوى، الذي فاجأه وأصاب قلبه فهوى، والذي رمز إليه الشاعر برمز الطبيعة "ريح صرصر" وهو في دلالاته الشائعة ريح قوية، ثم يواصل شاعرنا وصف حالة حزنه لمصابه، ويذكر لوم أصحابه له، لنواحه المستمر.

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 54.

ثم ننتقل إلى الأبيات المتبقية من هذه القصيدة للكشف عن الرموز الطبيعية الموظفة فيها وعن دلالاتها، يقول شاعرنا:

وطأة الليلِ على قلبي الحزينُ  
مزجتُ منه بأنفاسي أنين  
ما له وقعٌ بسمع العالمين  
وبسمعي أيّ وقع  
أنتِ يا ورقاءُ من دون الأنام  
تسمعين النوحَ مني في الظلام  
فإذا ما نُحِتُ يا رمزَ السلام  
عارضني نوحى بسجّع.<sup>1</sup>

ويتجلى لنا من خلال قراءتنا لهذه الأبيات، بعض الرموز الطبيعية، ومنها ما هو مترادف في المعنى، ومنها ما هو مترادف في الاسم مثل: (الليل/الظلام)، ونجد (حمامة/ورقاء).

ويواصل شاعرنا شكواه، مستعينا هذه المرة بدلالة "الليل" الذي شاع عنه أنه رمز للحزن والمرارة، فالتحمت بذلك وطأة الليل مع حزن قلب الشاعر، وشكلت صورة رامزة تمثلت في سماع أنين في أنفاسه، ويخبرنا الشاعر بأن هذا الأنين لا يسمعه ولا يحس به غيره إلا هو، ومن ثمة يوجه شاعرنا حديثه مخاطبا الورقاء، بأنها الوحيدة دون غيرها التي تسمع أنين قلبه ونوحه في الظلام -ذهاب النور-، ثم يخاطب شاعرنا "الورقاء" مرة ثانية بدلالاتها الشائعة، وهي رمز السلام، طالبا منها معارضة نوحه "بسجّع"، والدلالة الأصلية لهذه الكلمة هي "سجّع حمامة"، وسجعت إذا رددت صوتها على وجه واحد،<sup>2</sup> بمعنى الشاعر يطلب من الورقاء أن تعيد ترديد صوت نواحه بصوتها، وهذه الأخيرة

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 55.

<sup>2</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، د ط، لبنان، د ج، 1979، ص. 286.

صورة أخرى رامزة لتداخل حياة الإنسان في جانبها النفسي والعاطفي مع مظاهر الطبيعة، فالشاعر استطاع أن يصور لنا هذه المشاهد من خلال شعره ورهافة حسه، هي التي خولت له ذلك.

وتتنمي قصيدة إبراهيم طوقان إلى الشعر الوجداني وقد وظف فيها عناصر من الطبيعة لتحقيق غرض ذاتي يخص الجانب العاطفي لشاعرنا، لبث ما يحس به من حزن ومرارة لهوى في قلبه، وما يلاحظ على هذه القصيدة أنها جاءت في إطار الرمزية العامة، المتمثلة في الصور المجازية والصورة الغالبة هنا هي الاستعارة المكنية.

ومن شعره الوجداني أيضاً، نعرض هذه القصيدة المعنونة "بطير الصبا"، وهو يختزل لنا مضمون المتن الشعري، يقول شاعرنا:

طير الصبا ولي \*\*\* وكان لي جار

قلت له: "هلا تعود للدار؟"

فقال لي: "كلا ... كلا!" وطار ..

أظنه ملا مني الجوار

خلفني أبكي عهد الهوى

خلعت من ملكي عرشي هوى

عاش على الفتك قلب غوى.<sup>1</sup>

ومن خلال اطلاعنا على هذه الأبيات الشعرية تبين لنا أن هناك رمز طبيعي واحد اتكأ عليه شاعرنا إبراهيم طوقان، وهو "الطير" ودلالته المعجمية هي "هادئون ساكنون، ليس فيهم طيش ولا خفة"،<sup>2</sup> وبعد أن عرفنا المرموز به، وهو "الطير" بقي أن نتعرف على (الهوى، القلب، غوى) وهي ألفاظ تدل على الوجدان، ومنه المرموز إليه هو "فتاة"، ووجه الملاءمة يأتي في صورتين، الأولى أن كليهما يتصف باللطافة والرقّة، وثانياً الطير يطير

<sup>1</sup> - إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص. 171.

<sup>2</sup> - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص. 574.

من مكان مبتعدا إلى مكان آخر وربما كان شاعرنا يقصد هذا المعنى أكثر وهو الابتعاد والرحيل. وقد أخبرنا الشاعر من خلال شعره عن رحيل تلك الفتاة التي كانت قريبة إلى قلبه، وقد كان شاعرنا يخاطب ذلك الطير، ويدعوه إلى العودة إليه، ويرد عليه الطير برفض طلبه وطار مبتعدا، فالظاهر يبدو فيه رمز الطير هو مقصود الشاعر، ولكن هذا الرمز ليس مقصود لذاته، بل المعنى الباطني هو ما أراده الشاعر وهو تلك الفتاة المرموز إليها برمز الطبيعة "الطير". ورفض ذلك الطير البقاء إلى جوار شاعرنا، خلف له الحزن والشكوى في قلبه.

وبالنظر إلى مضمون هذه القصيدة، تبين لنا أنها تنتمي إلى الشعر الوجداني الكثير الحضور في ديوان شاعرنا إبراهيم طوقان، والغرض الذي سعى إليه في هذه القصيدة هو ذاتي للتعبير عن مواجيدته.

ومن خلال الاطلاع على النماذج الشعرية السابقة لإبراهيم طوقان، تبين لنا أن السبب في توظيفه لعناصر الطبيعة حيها وجامدها كأدوات للتعبير عن أفكاره، ووسيلة لنقل أغراضه بأبعادها المختلفة، وكان حضورها أكثر في شعره الاجتماعي والوجداني، لأن كلا البعدين يتطلب الجذب والتشويق والتأثير، وكذلك لتجنب التصريح المباشر وما يترتب عنه من مسؤولية، وكذلك ليجد حرية أكبر للتعبير عن مكنوناته، خاصة في البعد الوجداني، أما عن حضور الرموز الطبيعية في شعره السياسي والقومي والوطني فيكاد يكون منعدما، لأنه يعتمد على نقل مشاهد واقعية لا تحتاج منه الخيال، فيعتمد التصريح عن مواقفه الجريئة بدون خوف.

اتكأ إبراهيم طوقان على الطبيعة ومظاهرها المختلفة "حيها وجامدها" كوسيلة للتعبير، واختار منها ما يتجاوب مع انفعالاته وتجاربه (فرح وحزن، غضب ..)، فجاءت رموزه الطبيعية متنوعة ونذكر منها على سبيل المثال، وكما وردت في نماذج الشعرية السابقة (الروض، الطيور، الورد، الفجر، الليل، الزلزال، الغدير، الكهف، البحر، الطين،

الطوفان ...)، ونلاحظ أن هناك رموزاً طبيعية أساسية اعتمد عليها في قصيدة ما من شعره، مع وجود رموز طبيعية أخرى فرعية، كما أنه توجد رموزاً معينة مثل (الروض، الورد، الطيور، الغدير) كررها في بعض القصائد أحياناً بنفس الدلالات، وأحياناً أخرى بدلالات مختلفة تناسب موضوع القصيدة "فالرمز الأصيل هو الذي يملك معنى عاماً، فيدل على نوع شيء وليس على شيء ما بالتحديد".<sup>1</sup>

فتنوع الرموز الطبيعية في شعر إبراهيم طوقان وبراعة انتقائها بحسب أفكاره وأهدافه دليل على ثراء معجمه الدلالي لألفاظ اللغة، وكذا ثقافته الواسعة.

وهناك جانب آخر نتطلع للكشف عنه، حول حضور الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، وذلك من أجل معرفة مدى تشابه واختلاف رموزه ودلالاتها مع رموز شعراء آخرين، وفي البداية نتكلم عن حالة التشابه، وللكشف عن ذلك نبحت عن نماذج في شعره فنجد "رمز البلبل" فقد دار هذا الرمز عند عدة شعراء مثل: الشاعر عمر أبو ريشة في قصيدة "البلبل"، ولدى الشاعر حسن كامل الصيرفي في قصيدة "موت بلبل"، وكذا الشاعر سعيد عقل في "موطن بلبل"، وعند الشاعر إليا أبو ماضي في قصيدة "الغراب والبلبل"، فرمز البلبل عند إبراهيم طوقان من الرموز الكثيرة الدوران على أقلام بعض الشعراء، وهذا الحضور لم يكن فيه اختلاف في المواقف الشعرية التي استخدم فيها، فالبلبل بعذوبة صوته ورقة أنغامه مناسب كل المناسبة لكي يرمز إلى الشاعر الذي يخلق باللغة عالماً من الإيقاع المركب المثير، فأصبح هذا شائع بتلك الدلالة عند جملة الشعراء مثل شاعرنا إبراهيم طوقان.

وكذلك هناك رمز آخر وظفه طوقان وكان شائعاً عند شعراء آخرين وهو رمز "الوردة" وما يجاورها في حقلها الدلالي كالزهر وغيرها، وكانت دلالات هذا الرمز في

<sup>1</sup> - دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2008، ص. 86.

شعر إبراهيم طوقان مشابهة لدلالته عند غيره من الشعراء، "فالوردة" رمز للجمال وللعطر الزكي ورمز بها للمرأة.

وهناك رمز آخر شابه فيه طوقان غيره من الشعراء وهو رمز "الحمام"، فنجده عند محمود درويش في قصيدة "يطير الحمام"، وكذا عند خليل مطران "حمامتان"، ورمز "الحمام" يحمل دلالة السلام والأمان منذ القديم.

ويمكن التساؤل عن أهمية توظيف الرمز الطبيعي ودلالته عند طوقان عن غيره من الشعراء، وبتفحصنا لرموزه الطبيعية التي وظفها نجد أنه حافظ على دلالاتها الأصلية، ولم يحورها ومن ثمة اختلف عن غيره من الشعراء، فطوقان لم يكن همه موجهها إلى بناء رمز فني ووسيلة للإيحاء، بل قد كان موجهها إلى تقرير أفكاره واستخلاص مغزى من قصائده، ونجد هذا الاختلاف بارزا أكثر بينه وبين الشعراء المعاصرين الذين قاموا بتحويل الدلالات الأصلية للرمز الطبيعي بما يلائم عصرهم، ولكسر والرتابة في شيوع الرموز نفسها فلجؤوا إلى خلق رموز خاصة بهم.

ثم ننتقل إلى التعرف على سمات رموز إبراهيم طوقان الطبيعية وتوضح لنا فيما

يلي:

أ- رموزه مستمدة من بيئته الطبيعية، ولم تكن رموز طبيعية مستمدة من الخيال، بل هي من الواقع.

ب- حافظ على الدلالة الأصلية لرموزه الطبيعية ولم يتم بتحويلها.

ت- رموزه الطبيعية التي انتقاها جاءت ملائمة في دلالاتها لشخصياته الرمزية.

ث- رموزه سهلة في تناول القارئ وليست غامضة في دلالاتها.

ج- اتخاذه الرمز أداة للتعبير عند إحساسه بعجز اللغة العادية عن احتواء تجربته الشعرية.

ح- سمة العمق في شعره الرامز مستندة إلى الخيال الذي يرتسم بالتعبير اللامباشر في (التشبيه، الاستعارة والكناية).

ثم نأتي لتعرف على الاتجاه الرمزي الذي ينتمي إليه شاعرنا إبراهيم طوقان، ولا بد هنا من تذكّر رأي بعض الباحثين حول حضور الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، "فقد صنّفه أحد الباحثين إلى مستويات منها ما يجنح إلى الرمزية العربية ذات الأصالة ... ويتمثل في التشبيهات والاستعارات والكنائيات والإشارة بأنواعها الرمزية ... ويجنح قسم إلى الرمزية الغربية المتسمة بالإيحاء والغرابة".<sup>1</sup> ومن هذا الرأي يتضح لنا المراد، بالإضافة إلى تحليلنا السابق لنماذجه الشعرية تتجلي لنا ملامح اتجاهه بوضوح، ومنه يمكننا القول أن الرمز الطبيعي عند إبراهيم طوقان ينزح من جهة إلى الرمزية العربية العامة، ومن جهة أخرى ينزح إلى الرمزية العربية المذهبية المتأثرة بالمذهب الغربي الرمزي، فرمزيته العامة ترتسم في شعره عندما يريد التعبير بطريقة غير مباشرة عن فكرة ما، فيلجأ إلى المجاز وهو أرقى خصائص التعبير في الشعر بصفة خاصة- بصوره الرامزة كالاستعارة أو الكناية، وكذا التشبيه، وقد سبق ورأينا ذلك في نماذج من شعره مثل قصيدة "ملائكة الرحمة"، وفي "الروض كالمستشفيات"، والصورة الفنية هنا هي تشبيه استنقاه الشاعر من عناصر الطبيعة، وكذلك تشبيه الممرضات بالحمام، وكنموذج آخر، نأخذ من قصيدة "مصرع بلبل" صورة فنية هي استعارة في قول الشاعر "طلع الفجر باسماء"، حيث استعار الشاعر صفة من الإنسان وهي الابتسامة، وأعارها لعنصر من الطبيعة هو الفجر، فكونا معا صورة رامزة تدل على انبعاث الأمل وانفراج الهموم، وفي كلتا الحالتين هي مدلولات مجازية قريبة التناول.

أما الوجهة الأخرى لرمزية إبراهيم طوقان فهي الرمزية العربية المذهبية، من ناحية اتجاه رمزية التعبير وتحديد رمزيته تجلت في إحدى الخصائص الفنية لاتجاه

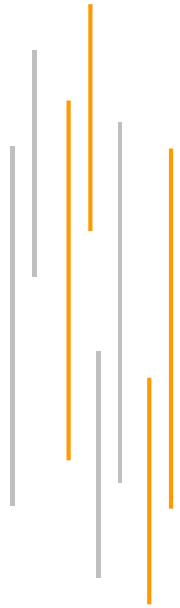
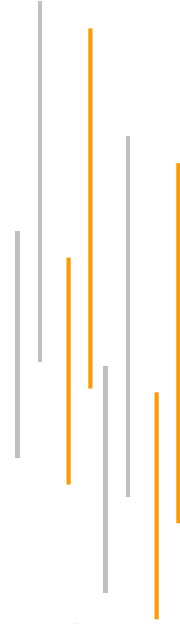
<sup>1</sup> - السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ص. 27.

رمزية التعبير وهي "الاستعارة الرمزية والرمز"، وقد سبق وتطرقنا إلى نموذج شعري له في قصيدته "مصرع بلبل"، وهي عبارة عن حكاية رمزية، تهدف إلى إبراز مغزى خلقي ويكثر فيها استعمال الحيوانات رموزاً إنسانية، وهي النموذج الوحيد في ديوانه الشعري، كما أنها بعيدة عن التأثر بأصول المذهب الرمزية الغربية وفلسفتها العامة، فلم تكن بذلك رمزيته مذهبية خالصة.

وما يمكن أن ننتهي إليه في هذه الدراسة التطبيقية حول حضور الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، أن الطبيعة بمظاهرها الحية والجامدة، كانت منبعاً ومعيناً لا ينضب، من مختلف الدلالات، وشكلت بذلك مصدراً مهماً لشاعرنا، حيث استقى منها وانتقى رموزاً طبيعية، كأداة للتعبير عن أغراض مختلفة الأبعاد، منها القومي والوطني، وخاصة الأغراض ذات البعد الاجتماعي والوجداني، اللذان احتاجا من الشاعر إلى ضرورة تجسيد معانيه في أشكال محسوسة، ليكون تأثيرها أقوى وأعمق في النفس، وليحقق هدفه المنشود، لذا لجأ شاعرنا إلى عناصر الطبيعة كوسيلة لذلك، وهنا تتجلى لنا رمزيته المجازية التي يسهل فيها فهم مدلولات الرموز الطبيعية بوضوح تام، لأنه لا يكتنفها الغموض، ولوجود قرائن دالة على ذلك، وحتى عندما لجأ شاعرنا إلى توظيف عناصر الطبيعة، على شكل حكاية رمزية لينقل من خلالها غرضه المنشود، فإن فهم مدلولات رموزه الطبيعية يكون في متناول المتلقي لأنه كثيراً ما يكفيه الشاعر عناء ذلك فيصرح بمدلولات رموزه الطبيعية في آخر بيتين من القصيدة، وهنا لا يمكن اعتبار رمزيته هذه مذهبية خالصة رغم انتمائها إلى أحد اتجاهات الرمزية العربية كمذهب لأنه لم يقصد بناء رمز فني يعتمد على الإيحاء، بل كان يقصد جعل رموزه الطبيعية كوسيلة لنقل أغراضه المتعددة الأبعاد، وهذا ما اتضح لنا عندما قمنا بتتبع حضور الرموز الطبيعية في شعر إبراهيم طوقان.

وبالإضافة إلى ذلك اتضح لنا طريقته المميزة في انتقاء الرموز الطبيعية المناسبة لتجربته الشعرية، حيث كان هذا الاختيار ليس اعتباطياً، بل راعى فيه تحقق وجه الملاءمة بين المرموز به (عناصر الطبيعة) والرموز إليه (شخصيات إنسانية أو معاني مجردة) من عدة جوانب للوصول إلى غايته. كما تم لنا التعرف على جانب آخر لتوظيف الرموز الطبيعية في شعر إبراهيم طوقان، وهو مدى اتفاهه واختلافه مع غيره من الشعراء سواء المعاصرين له أو غيرهم، فتيين لنا أنه لم يختلف في كثير من مواقف الشعرية عن غيره من الشعراء المعاصرين له، لذا نجده قد لجأ إلى توظيف بعض الرموز الطبيعية الشائعة، والتي تكرر حضورها عند جل الشعراء وبنفس الدلالات، أما وجه الاختلاف مع غيره من الشعراء خاصة أصحاب الاتجاهات الرمزية المعاصرة، حيث أن إبراهيم طوقان حافظ على الدلالات الأصلية لرموزه الطبيعية، ولم يقد بتحويرها على عكس غيره من الشعراء الذين قاموا بإزاحة الدلالة الأصلية لتلك الرموز وشحنها بدلالات جديدة، وجعلها رموز مبتكرة خاصة بهم، ووجه المفارقة أن إبراهيم طوقان لم يقصد بناء رمز فني، وهم قصدوا برموزهم الإيحاء، ويبقى أن توظيف الرمز الطبيعي عند كل شاعر يخضع لطبيعة التجربة الشعرية ولظروف العصر.

# الختامة



من خلال تتبعنا لتجربة "الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان" كمحور لدراستنا من عدة جوانب تم التوصل إلى النتائج التالية:

أولاً: الشاعر إبراهيم طوقان في توظيفه للرمز الطبيعي اتجه وجهتين، حيث جنح في بعض قصائده إلى الرمزية العربية العامة، فجاءت رموزه سهلة غير غامضة ذات دلالات واضحة، وجنح في إحدى قصائده "مصرع بلبل" إلى مذهب الرمزية العربية، فجاءت رمزيته على شكل حكاية رمزية، وهي ليست بالمفهوم المذهبي الدقيق؛ لأن إبراهيم طوقان عاصر المرحلة المبكرة لظهور المدرسة الرمزية العربية كمذهب أدبي، والتي لم يتضح فيها المفهوم الفني للرمز بوعي تام، فجاءت رمزيته بسيطة.

ثانياً: حافظ إبراهيم طوقان على مواصفات ودلالات المادة الرمزية، كما استمدّها من مصدرها الأصلي "الطبيعة"، ولم يحورها، لأنه لم يكن يقصد بناء رمز فني، بجعل رموزه الطبيعية وسيلة للإيحاء، بل اتخذها كمطية لأغراضه المتعددة الأبعاد، كالبعد الاجتماعي والوطني والقومي وخاصة الوجداني.

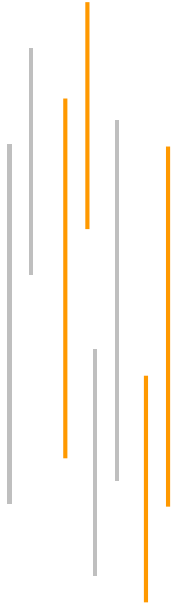
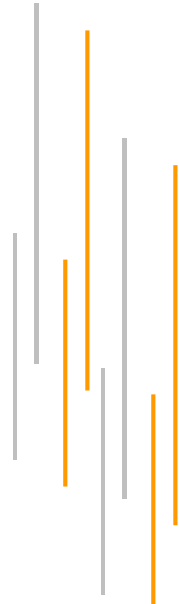
ثالثاً: تناول إبراهيم طوقان الطبيعة بمظاهرها المتنوعة حيها وجامدها.

رابعاً: كان من بين أسباب لجوء إبراهيم طوقان لتوظيف الرمز الطبيعي في قصائده، هو التهرب من مسؤولية التصريح، وكذلك لتجسيد معانيه المختلفة في أشكال محسوسة، لخلق التشويق وحتى تجعل التأثير أكثر عمقا في المتلقي، وكذلك لبث قيم اجتماعية وإنسانية وجمالية، خاصة عند لجوئه إلى الاستعارة الرمزية على شكل حكاية رمزية تعتمد شخصيات رمزية من عناصر الطبيعة.

خامساً: كما اتضح لنا أن الكثير من رموز إبراهيم طوقان شائعة عند جميع الشعراء ومكررة التوظيف، لذا تكاد تكون دلالاتها معروفة وواضحة لا غموض يكتنفها.

سادسا: وما يمكن أن يقال عن توظيف الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، أنه كشف لنا أبعاد شخصيته، كشاعر محب للفن والجمال وكوطني مخلص لوطنه، وفرد خدوم لمجتمعه، وعموما كإنسان يحترم إنسانيته، وفي نهاية المطاف لا ندعي إمامنا بكل جوانب هذا الموضوع، بل تبقى هناك جوانب عديدة تحتاج لدراسات أكاديمية أخرى، فالعلم كالبحر كلما غرشنا منه ازداد عطشنا له.

# المحقق



حفل الشعر العربي الحديث بأسماء لامعة، أثبتت وجودها بما جادت به قرائحهم في ميدان الشعر العربي، متناولين في نتاجهم الثري قضايا مختلفة من واقعهم العربي بوعي تام، ومتطلعين بموهبتهم الشعرية الفذة إلى مستقبل أفضل، فازدانت خزانة الشعر العربي بأرقى الأشعار وأعذبها، ومن بين هؤلاء الشعراء نجد شاعرنا إبراهيم طوقان، فمن يكون هذا النابغة الشعري؟.

ولد الشاعر إبراهيم عبد الفتاح داود الآغا طوقان سنة 1905 ميلادية في مدينة نابلس في فلسطين، وكانت عائلة طوقان من العائلات العريقة، وأكثرها حفاظا على التراث والعادات والتقاليد، كانت أسرة ذات يسار وعلم، معروفة بمكانتها الاجتماعية وتأثيرها في يسر الحياة الفكرية والاقتصادية في وسط هذه الأجواء، وبينما كان أبناء فلسطين يدافعون عن وطنهم، فتح إبراهيم طوقان عينيه على الدنيا مهزول البنية رقيق العود، وقد لازمته علل ثلاثة طوال حياته، وبسبب ذلك تردد كثيرا على الأطباء، ولكن رغم كل هذا فقد كان في حداثة سنه طفلا مرحا ولعوبا، كما تعلق إبراهيم بالزجل ثم بالشعر في نشأته وصباه، وكان ودودا واسع الصدر متسامحا صافي السريرة محبا لوالديه محترما لأهله وأصدقائه، قويا عند حقه.<sup>1</sup>

فتح الشاعر إبراهيم عينيه على هذه الدنيا وشهد عهدين أسودين، حيث رأى سياط الأتراك تلهب ظهور العرب، ثم نشأ وترعرع تحت استعمار قاس من الإنجليز، فكان لكل ذلك آثاره على نفسيته وعلى شاعريته.

أما عن مراحل دراسته إذ في التاسعة من عمره حين التحق بالمدرسة الرشدية في نابلس، وتلقى فيها علومه الابتدائية، وبعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى انتقل إلى القسم الداخلي بمدرسة في القدس، ولم يكن قد تجاوز الرابعة عشر من عمره، وأنهى إبراهيم

<sup>1</sup> - يوسف عطا الطريقي، إبراهيم طوقان حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2008، ص ص. 44-41.

تحصيله الثانوي في القدس عام 1923م. وبعدها انتقل إلى مرحلة أعلى في دراسته إلى الجامعة الأمريكية في بيروت.<sup>1</sup>

وعن الحياة العملية لإبراهيم طوقان، فقد عمل مدرسا للغة العربية في كلية النجاح الوطنية بنابلس، والجامعة الأمريكية في بيروت، وفي كلية المعلمين في بغداد، كما عمل في القسم العربي في إذاعة فلسطين حين إنشائها.<sup>2</sup>

وفيما يخص مصادر ثقافة إبراهيم طوقان، فقد تشكلت من مجموعة من العناصر كونت في النهاية مصادر ثقافته التي جاءت متناعمة في تكوين شاعريته، فقد تمثلت في بدايتها من بيئته المحلية في بيته وهو لا يزال صغيرا، تأثر بوالده، ولذلك ولع إبراهيم بما علمه إياه، واستفاد من بلاغة القرآن الكريم، فترك إعجاز القرآن أثرا واضحا في ثقافته. وكذلك تأثر طوقان بجده الشاعر والأديب، ضف إلى ذلك تشجيع أخيه أحمد على قول الشعر وتعليمه العروض والقوافي.

ومن المصادر الأولى التي أثرت في ثقافته ما تعلمه من أساتذته في المدرسة الرشدية، فتشبع بالروح الوطنية والقومية، وزرعت فيه البذور الأولى للشعر، وطبع بطابع النزعة التجديدية في الفكر والتعبير، وفي مدرسة المطران بالقدس حُبب إليه اللغة العربية والشعر القديم، فصقلت ألفاظه وميز بين الغث والسمين من الشعر، وفي الجامعة الأمريكية في بيروت لقي رحابة الجامعة بأساتذتها وطلابها ومعاجمها وتراثها الأدبي ومصادرها ومراجعها، ورغم مصادره المتعددة بقي القرآن الكريم أهم مصادره التي تأثر بها مما انعكس على شعره في جميع أغراضه.<sup>3</sup>

أما المصدر الثاني في ثقافة إبراهيم طوقان فيتمثل في استخدامه مصطلحات وتعبيرات شعبية فيفهم شعره المثقف والعامي، وينفذ إلى مشاعرهم وأحاسيسهم، واعتماده

<sup>1</sup> - يوسف عطا الطريفي، إبراهيم طوقان حياته وشعره، ص. 45.

<sup>2</sup> - أحمد الجذع، أشهر القصائد العربية المعاصرة، ج 1، دار الضياء، دط، عمان، الأردن، 2008، ص. 21.

<sup>3</sup> - يوسف عطا الطريفي، إبراهيم طوقان حياته وشعره، ص ص. 49-52.

على التاريخ، وقد ورد في شعره إشارات كثيرة للأحداث والشخصيات مما دعم به رؤيته الشعرية، كما تأثر بشعراء وأدباء العصور الزاهية، فقد تغنى بكتاب "الأغاني"، واقتبس من شعر "المتنبى" لتزين قصائده والنسج على منوالها، كما تأثر بـ"المعري"، وأفاد من "عمر من أبي ربيعة"، وقد ذكر إبراهيم بعض شعراء العربية كـ"أبي نواس"، و"ابن زيدون"، هذا وقد عكف على قراءة الشعر والنثر المعاصر، وقد تأثر بغيره من الشعراء المعاصرين ومنهم "شوقي" و"حافظ"، كما قرأ لـ"مطران" وغيره من شعراء العصر، ولقد تعددت نواحي النبوغ في شخصية إبراهيم مما نوع من مصادر ثقافته واطلع على الأدب الإنجليزي وعلى الأدب الغربي والسكسوني كما عرف الفرنسية.<sup>1</sup>

فالمتصفح لشعر إبراهيم طوقان وأدبه يتعرف على مدى سعة اطلاعه وإحاطته بثقافة متنوعة ومعارف متعددة، تشهد له بذلك أشعاره وقصائده التي تنوعت بها أغراضه الشعرية رغم قصر حياته.<sup>2</sup>

وفيما يخص أسلوب ومميزات شخصيته الشعرية، فيتجلى لنا ذلك بداية بأسلوبه، حيث يتصف أسلوب إبراهيم طوقان بالمحافظة على عمود الشعر القديم من جانب والتجديد في البحور الشعرية من جانب آخر مع إشراق الديباجة وإحكام النسج.<sup>3</sup>

وشعره واضح لا غموض فيه ولا رمزية مغرقة، يعرض المعنى من غير تكلف ولا جهد، والشعر الجيد عنده يجب أن يقترب بخصائصه اللفظية من النثر أو هو عبارات نثرية موزونة لا أثر لكد خاطر فيها، بل اتفق لما هي ولم يتفق لك أنت أن تكون موزونة، ومن الناحية الفكرية أحب إبراهيم الفكرة البسيطة التي لا تعقيد فيها.

ومن ناحية شخصية إبراهيم الشعرية فتتميز بما يلي:

<sup>1</sup> - يوسف عطا الطريفي، إبراهيم طوقان حياته وشعره، ص ص. 54-58.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص. 59.

<sup>3</sup> - محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، دار هومة، دط، الجزائر، 2010، ص. 331.

- كان ذا رؤية شفافة ترقب ما وراء الأفق، فظهر في شعره المبكر شعور بالمصير الذي تساق إليه فلسطين، ومثل هذه الرؤية تكون عند الشعراء أصحاب المواهب الإشرافية.  
- ومع هذا الواقع المرير، ورؤية المستقبل المظلم لم يكن إبراهيم متشائماً وإنما كان صلباً في التعبير عن إحساسه بالمستقبل، فهو لا ينفك يحرك الأمل في النفوس، ويحثها على النهوض.

- وكان إبراهيم يحمل هموم أمته العربية، ويحرص على بث روح الجهاد والوطنية في نفوس العرب جميعاً، وقد اهتدى إلى أسلوب الأناشيد ووفق فيه إلى أبعد مدى، واستطاع عن طريقها أن يلهب الشعور الوطني بما أودع فيها من حرارة وقوة.<sup>1</sup>

وكانت وفاة شاعرنا إبراهيم طوقان نتيجة المرض الذي لازمه طيلة فترة حياته، حيث رافقته علل ثلاث من طفولته ونمت معه، فكانت تشكل كابوساً له يلاحقه في حله وترحاله في دراسته وعمله، فكان كثير التردد على الأطباء والمشافي، فتوفي سنة 1941م ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره.<sup>2</sup>

قال فيه أحد كتاب نابلس بفلسطين: "عذب النغمات، ساحر الرنات، تقسم بين هوى دفين، ووطن حزين".<sup>3</sup>

ومن أهم أعمال إبراهيم طوقان ديوانه الشعري المطبوع، الذي ضمنه ما جادت به قريحته من أشعار عديدة الأغراض منها الوطنية والسياسية والقومية وكذا أشعار اجتماعية ووجدانية.

وقد جاء ديوان إبراهيم طوقان في طبعات عديدة بداية طبعة أولى دار الشرق الجديد، بيروت، 1955، 77 قصيدة، 1455 بيتاً، 225 صفحة، ومن بين الطباعات الأخرى نذكر الطبعة الثانية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، وآخر

<sup>1</sup> - محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، الأهلية، ط1، الأردن، 2006، ص ص. 22-24.

<sup>2</sup> - يوسف عطا الطريفي، إبراهيم طوقان حياته وشعره، ص. 73.

<sup>3</sup> - كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص. 37.

الطبعات لمؤسسة البابطين بإعداد وترتيب ماجد الحكواتي، ليرتفع عدد القصائد إلى 151، والأبيات إلى 253.<sup>1</sup>

ولقد لقي شعر إبراهيم طوقان عناية الدارسين والنقاد ومما كتب فيه:

-شاعران معاصران، إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي، لعمر فروخ.

-إبراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب، لزكي المحاسني.

- الغواني في شعر إبراهيم طوقان، للبدوي الملتئم (يعقوب العودات).

- أخي إبراهيم، لفدوى طوقان.

ولا يخلو كتاب في الأدب الحديث والأدب القومي من ذكر للشاعر.<sup>2</sup>

وهذا كتاب "الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث" لمؤلفته "سلمى خضراء الجيوسي"، تورد بعض النقاط المهمة فيه حول الشاعر إبراهيم طوقان، تخص مكانته كشاعر وبعض خصائص شعره التي تميز بها عن غيره، "كان إبراهيم طوقان أبرز الشعراء في فلسطين في حقبة العشرينيات والثلاثينيات، وكان له التأثير الأكبر في الدخول بالشعر في بلاده إلى العصر الحديث، ويبقى طوقان واحدا من الشعراء العرب القلائل الذين نجحوا بإدخال عنصر المفارقة والسخرية في الشعر".<sup>3</sup>

وتورد أيضا سلمى خضراء الجيوسي آراء أخرى حول إبراهيم طوقان، من خلال الدراسة التي قامت بها في هذا الكتاب أن "إبراهيم طوقان من شعراء الواقعية في فلسطين. وإذا كان في تمجيده البطولة في الصراع الوطني عنصر من الرومانسية، وكذلك شعره وخلافا لشعراء الكلاسيكية المحدثه يمثل سجلا صادقا لحياته ويبقى شعره أفضل أمثلة "الالتزام" التلقائي الذي يشمل تجارب الحياة العامة".<sup>4</sup> كانت هذه إشارة موضوعية

<sup>1</sup> - يوسف حسن نوفل، موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر، م. المختار، ط1، مصر، 2005، ص. 453.

<sup>2</sup> - محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحديث، الأهلية، ط1، الأردن، 2006، ص. 30-31.

<sup>3</sup> - سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2007، ص. 354-364.

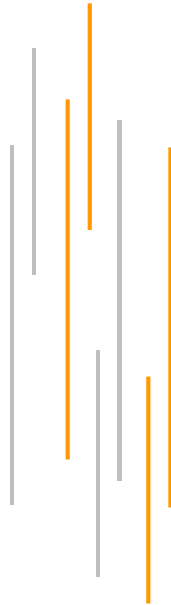
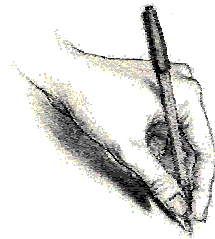
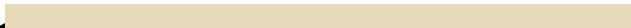
<sup>4</sup> - سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص. 364-494.

وثرية المعلومات قدمتها "سلمى خضراء الجيوسي" في دراسة حول الشعر العربي الحديث تطرقت فيها للشاعر إبراهيم طوقان.

وهذه الإشارة وغيرها في الدراسات الأدبية إلى شخصية وأدب إبراهيم طوقان دليل على مكانته في الشعر العربي الحديث وتأكيدا على ما حازه من شهرة مدوية، ويبقى شعره لبنة مهمة ساهمت في بناء الصرح الثقافي العربي.



# قائمة المصادر والمراجع



I-المصادر:

- 1- إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1993.
- 2- ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2000.
- 3- جمال الدين أبي الفضل ابن منظور، لسان العرب، ج5، تح: عامر أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان، 2002
- 4- الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، د ط، بيروت، 1979
- 5- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة بن خلدون، تح: حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة، 2004
- 6- عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ت.
- 7- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1999.

II- المراجع:

- 1- إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، الجزائر، 2008.
- 2- إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، ط1، الأردن، عمان، 2003.
- 3- إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2014.
- 4- أحمد الزعبي، أسلوبيات القصيدة المعاصرة (دراسة حركة الشعر في الأردن وفلسطين من 1950-2000م)، دار الشروق، ط1، عمان، الأردن، 2007.

- 5- أحمد حسن بسبح، الخيال الشعري عند العرب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1995.
- 6- أحمد الجدع، أشهر القصائد العربية المعاصرة، ج1، دار الضياء للنشر والتوزيع، د ط، عمان، الأردن، 2008
- 7- انطونيوس بطرس، الأدب (تعريفه، أنواعه، مذاهبه)، المؤسسة الحداثية للكتاب، د ط، لبنان، 2005.
- 8- بهاء حسب الله، ظواهر أدبية في الشعر العربي القديم والمعاصر، دار الوفاء، د ط، الإسكندرية، 2004.
- 9- يوسف عطا الطريفي، إبراهيم طوقان (حياته وشعره)، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2008.
- 10- مجاهد عبد المنعم مجاهد، جماليات الشعر العربي المعاصر، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 1997.
- 11- موهوب مصطفى: الرمزية عند البحري، ش، الوطنية، ن ت ، د ط ، الجزائر، 1981 .
- 12- محمد حسن عبد الله، إبراهيم طوقان (حياته ودراسة فنية في شعره)، م جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، د ط، د ب، 2002 .
- 13- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، د ط، بيروت، لبنان، 1973.
- 14- محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1995
- 15- محمد فتوح أحمد:
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د ط ، مصر، 1977 .
- الحداثة الشعرية (الأصول والتجليات)، دار غريب، د ط، القاهرة، 2007.

- 16- محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد (المصطلح والنشأة والتجديد)، الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2006.
- 17- محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث (اتجاهاتهم الفنية)، دار المعرفة الجامعية، د ط، الإسكندرية، 1997.
- 18- محمد حسن شراب، شعراء فلسطين في العصر الحاضر، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2006.
- 19- محفوظ كحوال، المذاهب الأدبية، مكتبة نوميديا، د ط، الجزائر، 2007.
- 20- نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، الجزائر، 1984.
- 21- نسيم بوصولاح، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية الوطنية، ط1، الجزائر، 2003.
- 22- عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفي، المكتب المصري، د ط، القاهرة، 1998.
- 23- عز الدين إسماعيل:
- التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، القاهرة، د ت.
- الشعر العربي المعاصر (قضاياها الفنية والمعنوية)، المكتبة الأكاديمية، ط5، د ب، 1994
- 24- على جعفر العلق، في حداثة النص الشعري، دار الشروق ، ط1، الأردن ، 2003.
- 25- علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا، ط4، القاهرة، 2002.
- 26- عماد على الخطيب، الصورة الفنية أسطوريا، جهينة، د ط، عمان، 2006

27- السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، عنابة، الجزائر، 2008.

28- ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرئ القيس)، دار الأدب، ط2، بيروت، لبنان، 2008.

### III- الكتب المترجمة:

1- جمال الدين بن شيخ، معجم الآداب العالمية (معجم آداب اللغة العربية و الآداب الفرانكو فوني المغاربي)، تر: جمال مصباح، دار الأبحاث للترجمة، ن ت، ط1، الجزائر. 2011

2- دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2008.

3- سلمى خضراء الجبوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 2007

4- س. موريه: الشعر العربي الحديث (1800-1970) تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي، تر: شفيع السيد وسعد مصلوح، دار غريب، د ط، القاهرة ، 2003

### VI- الدوريات:

1- أحمد قيطون: الرمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر، مركز البصيرة، ع 4، دار الخلدونية، الجزائر، نوفمبر 2009

2- راضية بوبكري "الأدب والأسطورة، دع، منشورات مخبر الأدب المقارن، 23 و 24 جانفي 2007، أعمال ملتقى الأدب والأسطورة، كلية الآداب جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

### V- المعاجم والموسوعات والقواميس:

#### - المعاجم:

- 1- كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2000، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2002.
  - 2- محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 2009
  - 3- عبد الله البستاني، الوافي (معجم وسيط للغة العربية)، مكتبة لبنان، ، لبنان، 1990
  - 4- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 2004
  - 5- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز (الميسر)، دار الكتاب الحديث، ط1، الكويت، 1993
- الموسوعات:
- 1- يوسف حسن نوفل، موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر، مؤسسة المختار، ط1، مصر، 2005
  - 2- محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، دار هومة، د ط، الجزائر، 2010.
  - 3- ضيف الجيلاني: موسوعة البلاغة العربية الميسرة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009.
- القواميس:
- 1- بطرس البستاني، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان ناشرون، د ط، بيروت، لبنان، 1998 .
  - 2- مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط2، بيروت، لبنان، 2001.
  - 3- مجموعة من المؤلفين، مجاني الطلاب، دار المجاني، ط5، بيروت، لبنان، 2001

# فهرس المحتويات



# فهرس المحتويات

شكر و عرفان

أ

مقدمة

## تمهيد

- 5 1- مفهوم الرمز
- 5 1-أ- الرمز في اللغة
- 6 1-ب- الرمز في الاصطلاح
- 11 2- مفهوم الرمزية
- 11 2-أ- الرمزية في اللغة
- 11 2-ب- الرمزية في الاصطلاح
- 11 3- أنواع الرمز
- 12 3-1- الرمز التراثي
- 13 3-2- الرمز الخاص
- 14 3-3- الرمز الطبيعي

## الفصل الأول: الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث

- 19 1-مدخل عن الرمز والرمزية في الشعر العربي القديم
- 22 2-نشأة وتطور الرمزية في الشعر العربي الحديث
- 25 3-سمات الرمزية في الشعر العربي الحديث
- 28 4-الاتجاهات الرمزية في الشعر العربي الحديث
- 32 5-أنواع الرمز ومصادره في الشعر العربي الحديث

## الفصل الثاني: تجلي الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان ودلالاته

- 38 تجلي الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان ودلالاته

70

الخاتمة.

73

الملحق: ترجمة لحياة الشاعر إبراهيم طوقان

80

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

## ملخص الدراسة باللغة العربية:

احتوت هذه الدراسة موضوعاً عن الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، والنموذج المختار هو في شعر إبراهيم طوقان، وينصب محور اهتمامنا فيه حول الرمز الطبيعي تحديداً، ولإجراء هذه الدراسة قسمت بحثي إلى محطات عدة، فالبدائية كانت بتمهيد اقتصرته فيه على تقديم مفهوم كل من الرمز والرمزية، وكذا أنواع الرمز، وبعد ذلك يأتي الفصل النظري تحت عنوان الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، ويتوزع إلى عناوين فرعية هي مدخل عن الرمز والرمزية في الشعر العرب القديم، ونشأة وتطور الرمز والرمزية في الشعر العربي الحديث، ثم سمات الرمزية واتجاهاتها في الشعر العربي الحديث، وآخر العناوين الفرعية لهذا الفصل أنواع الرمز ومصادره في الشعر العربي الحديث.

أما عن أهم محطة في البحث تجلت في الفصل التطبيقي بعنوان رئيسي هو تجلي الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان ودلالاته، واعتمدت فيه على ديوان الشاعر لإجراء هذه الدراسة، وتضمنت فحوى الدراسة هذه الخطوات بداية باستخراج الرموز الطبيعية الموظفة في شعر إبراهيم طوقان، وكشف دلالاتها، وكذا التعرف على تنوع رموزه الطبيعية حسب تعدد مواقفه الشعرية، وكذا مميزات رموزه عن رموز شعراء آخرين، والتعرف على سمات واتجاه رمزية إبراهيم طوقان. ثم أعقبت هذا الفصل بخاتمة لعرض أهم النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة، وبعد ذلك ملحق عرضت فيه ترجمة لحياة الشاعر إبراهيم طوقان.

### Résumé:

Cette étude a inclus une histoire sur le symbole et symbolique dans la poésie arabe moderne, le modèle choisi est dans la poésie de Ibrahim Toukan, l'accent est le centre de notre attention dans lequel symbole propos spécifiquement naturel, et de mener cette étude a divisé la recherche en plusieurs stations, Parce que le début était la botte confinée à introduire le concept de tout le code et Avatar , ainsi que les types de code et les attributs d'Avatar et les tendances, et traite de sujets comme Avatar, puis la théorie chapitre vient sous le symbole et symbolique dans l'arabe moderne titre de la poésie, et est distribué aux sous-rubriques sont un aperçu du symbole et symbolique de l'ancienne poésie arabe, les origines et l'évolution du symbole et symbolique dans la poésie arabe moderne, puis attributs de Avatar et les tendances de la poésie arabe moderne, et un autre sous-positions du présent chapitre types de symboles et des sources de la poésie arabe moderne.

Quant à la station la plus importante dans la recherche se manifeste au chapitre appliquée titre est une icône naturelle dans la poésie de Ibrahim Toukan, et l'a adopté à l'Office du poète pour mener cette étude, qui comprenait la substance de l'étude de ces étapes, le début de l'extraction de symboles physiques employées dans les cheveux Ibrahim Toukan, implications révélant, ainsi que pour identifier le la diversité des symboles naturels par la multiplicité des positions de la poésie, ainsi que par rapport à ses symboles avec symboles d'autres poètes, et d'identifier les attributs et la direction de symbolique Ibrahim Toukan.

Puis a suivi la conclusion de ce chapitre pour afficher les résultats les plus importants obtenus à partir de cette étude, et a ensuite offert pour compléter la traduction de la vie du poète Ibrahim Toukan.